سلسلة شبهات وردود

13

رد الشبهات

دفاعاً عن النبي محمد صلى الله عليه وآله



الشيخ ليث العتابي





رد الشبهات

دفاعاً عن النبي محمد ﷺ



طبع في لبنان

الطبعة الأولى
١٤٣٨ هـ - ٢٠١٧ م

تنفيذ طباعي
دار القارئ للطباعة والنشر والتوزيع
هاتف: ٠٣ ٤١٣٢٥٦
E-mail: dar.alkari2012@gmail.com

سلسلة شبهات وردود 13

رد الشبهات

دفاعاً عن النبي محمد ﷺ



مركز عين للدراسات والبحوث المعاصرة
النجف الأشرف، حي السعد، شارع ٦.
thd_srd@yahoo.com ■ thdsrd@gmail.com

سلسلة شبهات وردود 13

رد الشبهات

دفاعاً عن النبي محمد ﷺ

الشيخ ليث العتابي





من أهداف مركز عين:

مركز "عين" للدراسات الفكرية المعاصرة، يعنى بتفاعلات الواقع الإسلامي، ويحاول أن يؤصل للحلول والمقترحات تجاه مشكلات الإنسان المعاصر..

كما وينطلق من رؤية راسخة بقابلية الحضارة الإسلامية على قيادة الحياة وتقديم نموذج يتناسب مع احتياجات العصر من غير أن ينقطع عن أصوله ومنطلقاته وثوابته..

يسعى المركز ضمن برامج بحثية وهموم ثقافية ودورات لكتابة البحوث وتصديرها، لتعزيز الوعي الاجتماعي بقضايا الثقافة والأفكار ومناقشة مطاريح التخلف والتسيد لقيم غير أصيلة في المجتمع..

ليس من أهداف المركز أو مطاريحه الاعتناء بالتبشير الطائفي، ويؤمن أن ما يحدث اليوم هو طائفية سياسية تسعى لتجيير كل الدين والإنسان في أتون معركة مصالح دنيئة.. ولا نمانع من دراسات تنطلق من التسامح في التعايش والإيمان بمشتركات الإنسان دون إلغاء الآخر مع الاحتفاظ بالرصانة العلمية وشروطها..

كما يؤمن المركز أن الحلول الإسلامية تنطلق من جذورها المناسبة، ولهذا فهي تحاول التأسيس من منطلقات اسلامية خالصة، بعيداً عن كل التحيزات المحيطة..



المقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم

الصلاة و السلام على أشرف الأنبياء و المرسلين حبيب إله العالمين ابي القاسم محمد و على أهل بيته الطيبين الطاهرين..

كان العالم أجمع يغط في سبات عميق ، و ظلمات دامسة ، و قضايا شوهت كل ما لديه من وعي و أثرت على تفكيره فجعلته يفهم كل شيءٍ بالمقلوب ، فلم يكن الحل في إنقاذ البشرية من هذا التيه و العمى إلا إرسال الأنبياء و المرسلين (عليهم السلام) منذرين و مبشرين بين يدي رحمة الله تعالى .

لكن البشرية لم تذعن و لم تؤمن و لم تسلم بذلك ، بل أبت إلا تجبراً و عناداً ، و شنت حربها ضد أنبياء الله تعالى و رسله ما بين تقتيل و تشريد و تعذيب ، و الحصيلة النهائية هي ؛ إن الذين أمنوا بالرسل و أطاعوا الله تعالى هم القلة المستضعفة ، في مقابل الكثرة المتسلطة و العاصية . بل وصل الحال بأن شُوهت الشرائع الإلهية ، و حُرفت الكتب السماوية ، و قيّد التيار الديني - وبالخصوص في اليهودية و المسيحية - من قبل أعداء الدين ومحرفو الشرائع و الكتب السماوية .

حتى وصل الحال إلى خاتم الأنبياء و المرسلين و سيد الخلق أجمعين رسول الله محمد (ص) الذي بعثه الله تعالى رحمة للعالمين ، و الذي كان انطلاقه من جزيرة العرب ، فصدح و نادى بدعوته ، و دعا الناس إلى عبادة الله الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، و حارب عبادة الأصنام ، و نبذ جميع المحرمات و الآثام .

و لم يكن حاله عليه الصلاة و السلام بأفضل ممن سبقه من أنبياء الله تعالى ، إذ تصدى الطغاة لمحاربته ، و اجتمعت الأقوام على منابذته ، حتى وصل الحال به (ص) أن قال : ((ما أوذي نبي مثل ما أوذيت))[1] .

لقد كان شعار دعوته (عليه الصلاة و السلام) ؛ هو تحرير الإنسان ، و السمو به إلى مراتب القرب الإلهي ، و نشر المساواة ، و إقامة العدل ، و جعل الإسلام دين البشرية جمعاء .

فقض هذا القول ، و أقلقت هذه الدعوة مضاجع المستكبرين ، و هزت عروش الظالمين ، فما كان منهم إلا أن يعلنوا الحرب عليه و على كل ما جاء به (ص) ، فاجتمعت كل القوى لوضع

(1) كشف الغمة ، الأربلي ، ج ٢ ، ص ٥٣٧ .

الخطط و ترتيب المؤامرات لمحاربته ، و لمحاربة ما جاء بـه مـن دين ألا و هو (الإسلام) ، فكان الأعداء الخارجيين و بالتعاون مع المدسوسين ـ الذين يشكلون الخطر الأكبر على الإسلام ـ من الداخل يشكلون القوة المعدة و المجهزة لمحاربة الإسلام من اليوم الأول لظهوره و إلى آخر الدهر .

و اليوم و في هذا الزمان ظهرت لنا مشكلة العِداء الغربي للإسلام ، المشكلة التي لم و لن تنتهي بسلام أبداً ، لأن الغرب يُصِر على وصم الإسلام بـ(الإرهاب) ، و يصف المسلمين بالقتلة و المتخلفين . معتمداً في أقواله على ثقافة العصور الوسطى التي مهدت للحروب الصليبية ، و على مؤلفات المستشرقين من أبناء جلدته ، الذين كتبوا وفق عقليات مؤدلجة ، و بثوا للمجتمع الغربي أفكاراً مُعدة مسبقاً ، يعاونهم في ذلك ما في المنظومة الإسلامية من دس و تحريف و وضع قام به (المدسوسون) الذين حُسِبوا على الإسلام ظلماً و عدواناً .

في هذا البحث سوف نحاول توضيح قضايا مهمة ، و حقائق غائبة عن المجتمع الإسلامي ، و عن المجتمع الغربي على حدٍ سواء ، مبينين أسباب ذلك ، كل ذلك بهدف السمو و الرقي

بالوعي الإنساني ليكون وعياً حراً و ناضجاً بعيداً عن كل المؤثرات و الايديولوجيات .

ان حقيقة القول هو : انه نادراً ما يصدق الناس الحقائق لا سيما إذا تعارضت مع مصالحهم .

وفق ذلك سنعرف الكم الهائل و المعدل الرهيب من الأكاذيب التي ساقها الكتاب الغربيون و الأوربيون حول النبي محمد (ص) الذي اصبح من أكبر أعدائهم ، إذ كان الهجوم عليه هدفاً للإمبراطورية البيزنطية و أوربا على الصعيد الايديولوجي كما و على الصعيد الدعائي من قِبل المؤرخين الأوربيين المدعومين بعلماء الدين المسيحيين في البلاد الخاضعة لسيطرة المسلمين أمثال : (يوحنا الدمشقي ، و تيودور أبو قرة ، و إلياس ، و عبد المسيح الكندي ، و غيرهم) ، و قد تبعهم على نفس المنهج قساوسة أوربيون بدءً من القرن الثاني عشر الميلادي و حتى يومنا هذا .

لقد كانت الدعاية المغرضة قائمة على أساطير و أكاذيب جديدة لكُتاب لم يُعدموا الجهل بالأحداث التاريخية ، كما لم يُحرموا من موهبة تلفيق الأكاذيب . و كانت ثمرة هذه الدعاية هي ما

اصطلح على تسميته منذ ثلاثة قرون في أوربا باسم (أسطورة محمد) .

ان هؤلاء الكُتاب رغم مظهريتهم العلمية و ادعائهم الموضوعية كانوا أكثر تشبعاً بالأحكام المسبقة دينية كانت أو قومية . ان مسؤوليتهم في هذا الصدد لأثقل ألف مرة من مسؤولية أسلافهم في القرون الماضية في أوربا و الذين لم يتوفر لديهم أي مرجع أصلي و مؤكد عما يبحثون عنه او عما تناولوه ، بينما كان في متناول أيدي هؤلاء تقريباً كل المصادر القادرة على إرشادهم لمبتغاهم .

في الواقع ان دعوى الموضوعية عندهم هي جزئية و منهجهم الذي يسمونه نقدياً علمياً يتكشف عن سراب خادع لا حقيقة وراءه ابداً . و لذلك فقد حاولنا ان نكشف أخطائهم و ان ندحض أكاذيبهم و ان نقوم أحكامهم التي تقوم غالباً على احداث مغلوطة أو ناقصة ، و كل ذلك بهدف توصيل القارئ غير المسلم إلى ان يكون لديه عن الإسلام و شخصية مؤسسه مفهوم دقيق و عادل .





حاولنا في بحثنا المتواضع هذا رد جملة من بعض الشبهات التي أثيرت على النبي الأكرم (ص) و توضيح دوافعها و دواعيها و شرح ملابساتها كي ما لا تؤثر على فكر القارئ المسلم أو يتأثر بها بفعل الدعاية الغربية المغرضة و التي باتت ـ بما لديها من مؤثرات ـ تحول الزائف إلى حقيقة .

داعين الله تعالى ان يوفقنا إلى الاستمرار في التعرض لباقي الشبهات و ردها انه نعم المولى و نعم النصير .

و الحمد لله رب العالمين

النجف الأشرف

١٤٣٧ هجري ٢٠١٦ ميلادي

مدخل لا بد منه أو ملاحظات على هامش البحث:

إن هذه الدراسة ـ و غيرها من الدراسات التخصصية ـ تقف في طريقها عدة مشكلات لا بد من ان نورد بعضها ليتعرف عليها القارئ ، و لكي يأخذها بنظر الاعتبار من يريد البحث في هذا المورد و غيره . و ذلك من اجل حلها و ليكون تناولها منطلقاً نحو دراسات أدق و أعمق و أوسع ، و من هذه المشكلات :

١ـ إن المترجم إلى اللغة العربية من كتابات المستشرقين هو نزر يسير مقارنة بما لم يترجم من النتاجات الاستشراقية الكثيرة ، و يكفي لذلك ان نستشهد بما أورده الدكتور عبد الجبار الناجي في كتابه (التشيع و الاستشراق) باعتبار ان له ترجمات رائدة لكتابات المستشرقين ، إذ يقول ـ على سبيل المثال في موضوع التشيع ـ ما نصه : (لم يدر في خلدي في بداية الأمر حين شمرت عن ساعدي ، وجمعت أدوات بحثي ، ومعداته لأرسم مخططاً لمفرداته الدقيقة ، بأن تكون إسهامات المستشرقين عن التشيع ، وعن سير أهل البيت بمثل هذه الكثافة ، والتركيز نوعاً وكماً...)[1] .



(1) التشيع و الاستشراق ، عبد الجبار الناجي ، ص ١١ .

٢ـ ما تُرجم من النصوص و الكتابات الاستشراقية قد اعتراه الكثير من الحذف ،و الإنتقاء ،و التحريف بحجة (تعدد المراد) و (الذوق الأدبي) من المترجمين للنتاجات الاستشراقية ،إذ ان أكثر المترجمين للنصوص الاستشراقية هم ليسوا على وفاق مع اتباع مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) ان لم يكونوا اعداءً لهم .

٣ـ ضعف الترجمة ـ و لربما انعدامها ـ للنتاجات الاستشراقية في المؤسسات التابعة لاتباع مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) مع عدم الاهتمام بذلك الأمر مطلقاً . إذ لا بد لنا ، بل من الواجب علينا ـ اخلاقياً و معرفياً كقدر متيقن ـ أن نترجم النتاجات الاستشراقية بأنفسنا لا ان نعتمد على غيرنا ممن يُترجم وفق ايديولوجيا معينة بعيدة كل البعد عن الطرح المعرفي الحقيقي .

في مقابل ذلك لا بد أن نقوم بحركة ترجمة معاكسة لنقل تراثنا الحقيقي (تراث مدرسة أهل البيت عليهم السلام) إلى اللغات العالمية الأخرى ، شعارنا في ذلك قول الإمام الرضا (عليه السلام) : ((علموا الناس محاسن حديثنا ، فإن الناس لو سمعوا محاسن حديثنا لأتبعونا)) .

٤ـ الضعف الواضح في تأسيس مراكز بحث قائمة على احترام



النتاج المعرفي الحقيقي ، و احترام الباحث المعرفي المختص .
إذ ان أكثر المؤسسات في عالمنا (العربي ـ الإسلامي) بشكل عام و في واقعنا بشكل خاص ، هي مؤسسات اعلامية أكثر منها معرفية . كما ان واقع النتاجات ـ عموماً ـ تعتريه (الاجترارية) و ليس فيه أي ملامح ابداعية مطلقاً .
كما و ان هناك أموراً كثيرة من الواجب الاعتناء بها معرفياً ، لكننا ـ مع شديد الأسف ـ نجد لها اهمالاً غريباً، على الرغم من وجود كم هائل من المواد المعرفية الأولية ، إلا ان الواقع مرير و في هذا المورد بالذات .

الـهجمة التي شُنت على الإســلام الأسباب والدوافع:

لـم يحـظَ ديـنٌ قـط بكثـرة أعـداء مِثـل مـا حظـيَ بـهِ الـدينُ الإسلامي ، و لم يحظَ شخصٌ بكثرة المعادين و المحاربين بمثـل ما حظي به شخص النبي محمد (ص) ، و لم تحظَ عائلة و أهـل بيت بتقتيل و تشريد و محاربة على طول الزمان بمثـل مـا مُنـي بـه أهل بيت النبي محمد (ص) ، و عترتـه الطيبـة الطـاهرة فـي كـل زمانٍ و مكان .

و نحن الآن نشهد هجمة معاصرة ضد نبـي الإسـلام (ص) ، و ضد الإسلام و المسلمين في جميع أصقاع العـالم ، إذ صـار أسـم الإسلام مقروناً بالإرهاب ، و بالقتـل و السـلب و النهـب ، و روج بأن نبي الإسلام هـو ذلـك الرجـل الـذي لا يهـتم إلا بـالحروب و المغانم و النساء . و حاشا لرسول الله (ص) أن يُتهم بمثل ذلك و هو القائل (ص) : ((أدبني ربي فأحسن تأديبي))[1] دلالـة علـى أن أخـــلاقه (ص) هــي أخـلاق إلهية ربانية فهو (ص) : ((مَا



([1]) بحار الأنوار ، المجلسي ، ج ١٦ ، ص ١٩٤ ، و العقد الفريد ، أبن عبد ربـه الأندلسي ، ج ١ ، ص ٩٥ .

يَنْطِقُ عَنْ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى))[1] .

نعم ، لقد شن اعداء الإسلام هجمةً من طعنٍ و تشويهٍ للإسلام و لكتاب الله العزيز و للنبي الأكرم (ص) ، ظهر جلياً واضحاً بما صدر من كتب حاقدة و كتابات مغرضة تمخض عنها تيار منحرف تمثل بكتاب (الآيات الشيطانية) لسليمان رشدي و ما شاكله من كتابات التيار المنحرف المنسلخ عن الإسلام ، أو المتلبس بعقد نفسية معينة ، إضافة إلى ظهور رسومات كاريكاتيرية مسيئة للنبي (ص) في الدنمارك و غيرها من الدول الأوربية التي ترفع شعار (الحرية) زوراً و بهتاناً.

اضافة إلى حرق القرآن الكريم في أمريكا[2] المنادية بالحرية و حقوق الإنسان ، أو جعله هدف للرمي من قبل مرتزقة الاحتلال الأمريكي في العراق و أفغانستان . كل ذلك يجعلنا نقف و نقول إن كل هذا لم يكن مصادفةً و لا اعتباطاً ، بل ما هي إلا هجمة منظمة و معدة مسبقاً هدفها القضاء على الإسلام نهائياً . ذلك لأن الإسلام بات مصدر قلق كبير للدول الكبرى و الدوائر

(١) سورة النجم ، الآيات ٣ و ٤ .

(٢) على يد القس المتطرف (تيري جونس) .

الأستكبارية العالمية ، إذ لا أحد يمكنه أن يقف بوجه طموحاتهم الاستعمارية و مخططاتهم الأستكبارية غير الإسلام (الإسلام الحقيقي و الأصيل)[١] ، إسلام النبي محمد (ص) و أهل بيته المعصومين (ع) .

و بالعودة إلى الصراع الذي خاضه الدين الإسلامي حين نشؤه نقول : كانت الهجمة الشرسة و التي ابتدأت من أول يوم أعلن فيه النبي محمد (ص) نبوته المباركة و دينه الإسلامي القويم ، فكان الصراع داخلياً و عن طريق المؤامرات الخفية و محاولات الغدر و الاغتيال ، و التشويه و الأذية و الصد و التعذيب و المحاصرة . و ما أن مَنَ الله سبحانه و تعالى على نبيه الأكرم (ص) و على المسلمين بدولة إسلامية بقيادته (ص) مقرها المدينة المنورة[٢] . حتى دخل إلى الصراع عنصر جديد محارب للإسلام ألا و هم (اليهود) ، فهم بخبثهم و دهائهم ، و شهرتهم بقتل



---

(١) و ليس إسلام معاوية و بني أمية و بني العباس ، و لا إسلام السعودية و تركيا و غيرها من الدول التي وضعت لتهديم الإسلام ، و لا إسلام الوهابية و غيرها من الفرق الضالة المضلة ، و وليداتها من القاعدة و داعش .

(٢) يثرب سابقاً .

الأنبياء و أبناء الأنبياء[1] ، كانوا السباقين في محاربة الإسلام و المسلمين ، و ذلك من خلال عقد التحالفات مع كل أعداء الإسلام لمحاربة الإسلام و إثارة النعرات ، و جمع التحشيدات ، و تجييش الجيوش ، فكانوا أخطر و أخبث عنصر حارب الإسلام، حتى كان من النبي الأكرم (ص) أن طردهم من أماكنهم و ابعدهم عن مقر الدولة الإسلامية بسبب اثارتهم الفتن و القلاقل ، و لعدم اعترافهم بالإسلام كدين سماوي رغم تصريح كتبهم بذلك .

أما بعد وفاة النبي الأكرم (ص) فقد كان لبروز ظاهرة (النفاق) الأثر الكبير على مسيرة الإسلام ، و المتمثلة بالعِداء الداخلي و المؤامرات الداخلية ، و خيانة مبادئ الإسلام من قِبل مُدعي الإسلام و معتنقيه خوفاً و طمعاً ، كالذي تمثل بأحداث السقيفة و قضية اغتصاب الخلافة وصولاً إلى تسلط معاوية و بني أمية ـ و هم أعداء الإسلام صراحة ـ على الأمة ليرجعوها إلى الجاهلية الجهلاء مرةً أخرى ، و يحاربوا الدين الإسلامي صراحةً، و يخربوا منظومته المتكاملة عن طريق محاربة أهل بيت

(1) تراجع الكتب المختصة في ذلك ، مع مراجعة نصوص التوراة .

النبـي (ص) و تقتـيلهم و تشـريدهم ، و إتبـاع طريـق الوضـع و التحريف و اختراع الأحاديث و القصص التـي لا أسـاس لهـا مـن الصحة بهدف تشويه الإسلام و شخص النبي (ص) و رفع قـدر و شأن بني أمية[1] و بالخصوص معاوية بن أبـي سـفيان[2] و إضـفاء القدسـية علـى شخصـهِ. فكثُـر الوضـع ، و كثُـرت الأحاديـث الموضوعة ، و فُسِرت آيات القرآنِ بحسب المصلحة و بما يوافق الاتجاه السياسـي و الاقتصـادي[3]. فحصـل إثـر هـذا التـراكم أن تكونـت منظومـة حديثيـة ـ كتـب أحاديـث ـ أغلبهـا موضـوع ، و



([1]) سلالة تولت الحكـم مـن سـنة (٤٠ هــ) و حتـى (١٣٢ هــ) (٦٦١ ـ ٧٥٠ ميلادي) أولهم معاويـة بـن أبـي سـفيان ، و أخـرهم مـروان الثـاني المعـروف بمروان الحمار ، و هم بأجمعهم (١٤) حاكم ، قضى عليهم بنو العباس .

([2]) معاوية بن أبي سفيان الأموي (٢٠ ق . هــ ـ ٦٠ هـ) مؤسس الدولة الأموية ، أمه هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شـمس ، طـاغي مـن الطغـاة و المحـاربين للإسلام ، قاتل الأمام علي (ع) ، ملعـون علـى لسـان النبـي (ص) ، و الأمـام علي (ع) ، و باقي الأئمة (ع) ، و العلماء و الصلحاء ، يراجع كتـاب (اللعـن و السب بين الحقائق و الإدعاءات للمؤلف) .

([3]) هنالك أساب عديدة لتزوير الحقائق و وضع الأحاديث منها : (سياسـي ، و اقتصادي ، و اجتماعي ، و مناطقي ، و طائفي ، و مذهبي ، و قبلي ... الخ) .

منظومة في التفسير قائمة على الإسرائيليات التي لا أساس لها من الصحة . و التي أعطت المبرر لأعداء الإسلام أن يطعنوا به و دليلهم على ذلك (كتب الأحاديث) و (كتب التفسير) إذ هي التي تمثل تراث الإسلام . مما شكل خللاً واضحاً في التراث الإسلامي بسبب الاعتماد على كتب أحاديث معينة[1] اعتمدت على مقولات السلاطين ، و أحاديث الواضعين حقداً و طمعاً ، و دسائس أهل الكتاب[2] من إسرائيليات و خرافات و خزعبلات لا يتقبلها العقل السليم ، و لا تتقبلها الفطرة الإنسانية السليمة . كل هذا حفز أعداء الإسلام ان يبحثوا عن نقاط ضعف فيه ، و ان يفتشوا عن تهافتات يمكن من خلالها توجيه النقد للإسلام بكل رموزه و منظومته . فكان السِباق الحثيث و المحموم لمدارس الأستشراق[3] على دراسة التراث الإسلامي من أجل التعرف عليه



(1) كالصحاح الستة لدى أبناء الجماعة .

(2) كـ(كعب الأحبار) و من شاكله من أبناء جلدته ، و (أبن جريج) و غيرهم .

(3) و من الأنصاف أن نذكر أن هنالك جانب علمي و معرفي صرف في حركة الأستشراق ، لكن و لأن الأغلب أهدافه واضحة لذا تجد التخوف و الحذر من الكل شيء مطلوب .

و تشخيص مواطن القوة و الضعف فيه ، و بالتالي توجيه النقد إليه علناً ، مضافاً إلى اختراع النقائص و إلصاقها به ، و ابتداع المفتريات و رميهُ بها ، فكان ان برز أمثال :(لامنس[1] ، و شبرنجر[2] ، و جولدتسيهر[1] ، و مرجليوث[2] ، و دانتي[3] ، و

([1]) هنري لامنس (١٨٦٢ ـ ١٩٣٧) مستشرق بلجيكي و راهب شديد التعصب ضد الإسلام ، يفتقر إلى النزاهة في البحث و الأمانة في النقل ، له : (مهد الإسلام ، مكة ، مدينة الطائف ، غربي الجزيرة العربية قبل الهجرة ، المعابد قبل الإسلام في غربي الجزيرة العربية ، القرآن و السنة كيف ألفت حياة محمد ، هل كان محمد أميناً ؟ ، فاطمة و بنات محمد ، الحكومة الثلاثية من أبي بكر و عمر و أبي عبيدة) ، بالغ في مؤلفاته في مدح الأمويين بدافع الحقد على الإسلام .

([2]) الويس شبرنجر (١٨١٣ ـ ١٨٩٣) مستشرق نمساوي الأصل ، انكليزي الجنسية ، له : (مختارات من المؤلفين العرب ، و تاريخ محمود الغزنوي ، و حياة محمد و تعاليمه ، و الجغرافيا القديمة للجزيرة العربية) ، و قد أشتمل كتابه (حياة محمد و تعاليمه) على أحكام مسبقة و تصورات زائفة و أمور مبالغ فيها و تناقضات عجيبة ، تميز بالتحامل على النبي (ص) و على الإسلام ، يحاول الحط من شأن النبي (ص) و يرفع قدر أبي بكر و عمر على حساب النبي (ص) .



كيمون[٤] ، و برنارد لويس[٥] ، و غيرهم) ، ممن يطول ذكره و لا يتسع له البحث ، ليكونوا المثال الحي و الحقيقي على العِداء المُعلن و الصريح للإسلام بكل منظومته .

فمثلاً يقول المستشرق الايطالي (فرانشيسكو كبريلي)[١] منتقداً منهج هنري لامنس : (لقد وجد الموقف الكنسي في تعاليم

---

(١) اجانتس جولدتسيهر (١٨٥٠ ـ ١٩٢١ ميلادي) يهودي مجري ، أستاذ في كلية العلوم ببودابست ، له (اليهود) و (العقيدة و الشريعة في الإسلام) ، تميز بحقده على الإسلام .

(٢) دافيد صمويل مرجليوث (١٨٥٨ ـ ١٩٤٠) مستشرق انكليزي تميز بكتاباته المغرضة ضد الإسلام ، له : (محمد و نشأة الإسلام ، الإسلام ، تطور الإسلام ، العلاقات بين العرب و اليهود .

(٣) دانتي الغييري (١٢٦٥ ـ ١٣٢١ م) شاعر ايطالي حاقد على الإسلام .

(٤) فهو القائل في كتابه باثولوجيا الإسلام : (إن الديانة المحمدية جذام نشأ بين الناس و أخذ يفتك بهم ...) الإسلام بين العلم و المدنية ، محمد عبده ، ص ٢٢ .

(٥) برنارد لويس : (١٩١٦ ـ ...) ، مستشرق يهودي بريطاني حاصل على الجنسية الأمريكية ، و من أكبر الحاقدين على الإسلام ، له (العرب في التاريخ) و (أصول الإسماعيلية).

محمد عقيدة منافسة سرعان ما تطورت و نمت لتصبح و كأنها مارد يهدد أوربا فلذلك وجد لامنس في الرسالة المحمدية أنها أسطورة ، و في الإسلام هرطقة ، الهدف الرئيس من ورائه محاربة النصرانية)[٢] .

إذاً فقد خَلقت الكنيسة من شخص النبي محمد (ص) عدواً لها ، فوضعت له الصفات غير الجيدة ، و جعلت منه (المارد) الذي تُخوف به رعيتها ، و تمنعهم من الاقتراب منه - و لو على سبيل معرفته - تحت شعار الخوف عليهم من هذا المارد ، و هي بالحقيقة لا تخاف إلا على مصالحها و هيبتها و كيانها ، خوفاً أن يتعرف رعيتها على الحقيقة ، و بالتالي يتثقفون بثقافة تتضارب مع مصالح الكنيسة و مصالح الايديولوجيا الحاكمة .لذا فقد تصدت و بكل قوة لذلك و استعملت من أجل مصالحها كل الوسائل الغير مشروعة و منها سلاح الكذب و الافتراء ، و ما كان



(١) فرانشيسكو كبرييلي (١٩٠٤ - ١٩٩٦ ميلادي) مستشرق ايطالي ، أستاذ اللغة العربية و أدبها في جامعة روما و المعهد الشرقي في نابولي ، أهتم بدراسة الشعر العربي قبل الإسلام ، حقق العديد من المخطوطات الإسلامية .

(٢) محمد و الفتوحات الإسلامية ، كبرييلي ، ص ٢٠ .

من (لامنس) ـ مثلاً ـ باعتباره من رجال الكنيسة و الميال للفكر اليهودي إلا أن يتبنى هذه الرؤية الكاذبة و يضع في كتبه كلام لا أساس له من الصحة ، و لا دليل عليه أبداً إلا في خيال (لامنس) المتهرئ و من هم على شاكلته .

حتى قال عنه الكاتب المصري المعروف عبد الرحمن بدوي في كتابه (موسوعة المستشرقين : (هنري لامنس : مستشرق بلجيكي ، و راهب يسوعي شديد التعصب ضد الإسلام ، يفتقر افتقاراً تاماً إلى النزاهة في البحث ، و الأمانة في نقل النصوص و فهمها . و يعد مثالاً سيئاً جداً للباحثين في الإسلام من بين المستشرقين)[١] .

كما و يقول المستشرق الفرنسي (أميل درمنغهام)[٢] في معرض نقده للمستشرق (هنري لامنس) : (إن لامنس أعلن قطيعة مع أحاديث الرسول برمتها بتهمة أنها أحاديث مرسومة و غير موثوقة ، لكنه موقف مبالغ فيه جداً ، إذ كيف تكون الحال إذا رفضنا جميع الأحاديث ، كيف إذن يمكن تدوين التاريخ الإسلامي ؟

(١) موسوعة المستشرقين ، عبد الرحمن بدوي ، ص ٥٠٣ .

(٢) أميل درمنغهام أو درمنجم (١٨٩٢ ـ ١٩٧١) ميلادي ، مستشرق فرنسي ، له كتاب (حياة محمد) و مؤلفات أخرى .

إن تغييب الحديث سيؤدي إلى بروز ثغرات واسعة في الكتابة التاريخية عن الرسول ...)[١] .

لقد اصبح مصطلح (الأستشراق) ـ عموماً ـ يدل على الحرب الموجهة للإسلام ، و أصبح الأستشراق أداة الاستعمار و أفضل دليل و مُعين له في حربهِ على البلاد العربية و الإسلامية حتى يومنا هذا ، و لقد تحولت بعض مدارس الأستشراق إلى مراكز استخباراتية ، و منظومات مخابراتية هدفها تدمير الإسلام و إضعاف المسلمين ، و نهب الثروات و المقدرات للشعوب المستضعفة و التوسع على حسابها . فـ(الحركة الاستشراقية تاريخياً ، و لاسيما في القرن العشرين قد شاطرت ـ شئنا أم أبينا ـ مع موجة السياسات الاستعمارية الأجنبية لبلادنا ، و صارت وجهاً أو واجهة ، و أحياناً مرآة نرى ـ نحن العرب و المسلمين ـ فيها " و بغضب عارم " تقسيم فلسطين الحبيبة و منح الصهاينة ملاذاً في الأرض السليبة ...)[٢] .



(١) المستشرقون ، نجيب العقيقي ، ص ٢٩٨ ، و حياة محمد ، محمد حسين هيكل ، ص ١٠ .

(٢) التشيع و الأستشراق ، عبد الجبار ناجي ، ص ٦٩ـ٧٠ .

ذلك ان (الأستشراق يعتبر الممثل الثقافي الأكثر صدقاً لموقف الغرب من الإسلام ـ و ثقافات العالم أجمع ـ و حضارته ...)[١] .



المستشرقون ودراسة السيرة:

إننا وفي تناولنا لموضوع المستشرقين والسيرة لسنا بصدد أن نكتب عن جهود المستشرقين حول السيرة لنثبت ذكائهم، وعبقريتهم مثلاً دون غيرهم، ولا لإثبات اتصافهم وبأجمعهم بالموضوعية، ولا لإثبات أحقية قضية ما من خلالهم، ولكن أردنا بذلك إظهار أن الكثير من القضايا غير خافية على الباحث، وإن الكثير من القضايا واضحة وضوح الشمس رغم إرادة البعض طمسها وتشويهها وتحريفها.

لا بد أن نعلم أن هناك الكثير من كتابات المستشرقين التي أتسمت بعدم الإنصاف، وبالخصوص في مجال السيرة، فجملة من المستشرقين كانت كتاباتهم لأجل تشويه سيرة حياة النبي الأكرم (ص) ، وسيرة أهل بيته (ع)، وأجلى مثال لهؤلاء في هذا

(١) نبوة محمد (ص) في الفكر الأستشراقي المعاصر ، لخضر شايب ، ص ٣١.

الصدد هو (هنري لامنس) الذي يعتبر من أكثر المستشرقين حقداً، ودساً على الدين الإسلامي، وعلى النبي وأهل بيته (صلوات الله عليهم أجمعين) كما أسلفنا .

و في هذا الصدد يقول الأستاذ (جواد علي)[1]: (لقد أخذ المستشرقون بالخبر الضعيف، والموضوع في بعض الأحيان، وحكموا بموجبه، واستعانوا بالشاذ، والغريب فقدموه على المعروف، والمشهور)[2].

نعم، إنهم قد هولوا، وكذبوا، واخترعوا الأباطيل، لكنهم وفي أكثر الأحيان، وعند مناقشتهم لقضيةٍ ما لم ينطلقوا من فراغ، بل إنهم اعتمدوا في ذلك على ما وجدوه في كتب التراث التاريخي، والحديثي السني بما فيها من الخزعبلات، والوضع، والدس، والحقد، والتحريف.

فنحن إن أردنا من الآخر أن يتسم بالموضوعية التامة، والحيادية المطلقة عند قراءة تراثنا فعلينا أول الأمر أن نخلص هذا التراث من كل ما علق به من مدخولات، وموضوعات،

---

(1) جواد علي (١٩٠٧- ١٩٨٧ م).

(2) تاريخ العرب في الإسلام، جواد علي، ج ١، ص١١٨ .



وتحريفات، وتصريفات، فما ذكرته كتب الصحاح الست، وكتب التاريخ من تشويهٍ متعمد لشخصية النبي (ص)، ولأهل بيته (ع) قد أسسها مخالفو النص الشرعي، والذي أسس على إثره معاوية بن أبي سفيان منظومته التحريفية الكبرى، والتي سار عليه سلاطين بني أمية، وكل من جاء بعدهم، وإلى الوقت الحاضر.

(كان محور محاولات المستشرقين في تناول السيرة النبوية هو اسقاط هذا الثقل في واقع المسلمين منضماً إلى الثقل الأول وهو القرآن الكريم، وبذلك ينهار البناء الإسلامي بكل ابعاده الفكرية والسياسية. ومن أجل ذلك راحوا يتتبعون مفردات التاريخ الإسلامي لاستقصاء موارد الشذوذ ومواطن التزوير في السيرة النبوية، التي احدثها وعاظ السلاطين ومرتزقة الحكام المنحرفين، كخلفاء بني امية وخلفاء بني العباس، وتسليط الضوء عليها واظهارها على انها السيرة الفعلية للرسول (ص) وأهل بيته(ع) ثم يبدأ استثمار ذلك عند تأسيس بحث نقدي لشخصية الرسول (ص) لتحقيق هدفين: الأول: ابراز تهافت وتناقض في سيرته وصولاً لنفي نبوته وعالميته، وتقرير انه ليس إلا رجل اصلاح قومي استثمر النصرانية واليهودية وامثالها واضاف اليها

من عنده لتنسجم مع مجتمعه وظرفه الزماني والمكاني. والثاني: وصم السنة النبوية بالاختلاق والوضع، ومن ثم الدعوة إلى عدم حجيتها كمصدر اساسي من مصادر التشريع في الإسلام، ولم تكن هذه المعطيات جزافاً، بل هي افراز طبيعي للصراع المحتدم بين الإسلام والصليبية، وقد كان للنتائج التي تمخضت عنها الحروب الصليبية طعم العلقم في حلوق الأوربيين لا ينسونه ابداً)[١].

إن مجمل الآراء غير الموضوعية التي تبناها المستشرقون كان أساسها ـ كما اسلفنا ـ اما التحريفات الموجودة في التراث الحديثي السني، وإما مبتنيات تراث العصور الوسطى الصليبي، وإما كتابات المستشرقين الأوائل ذات الطابع الأيديولوجي، والتبشيري، والاستعماري. مضافاً لها غايات وأحقاد ذات دوافع مبيتة.

لقد شهد إرنست رينان على تحامل أبناء قومه و ملته من المستشرقين على النبي محمد (ص) إذ يقول : (لقد كتب المسيحيون تاريخاً غريباً عن محمد ... إنه تاريخ يمتلئ بالحقد و

---

(١) الإسلام وشبهات المستشرقين، فؤاد كاظم المقدادي، ص ١٤٥. ١٤٦.



الكراهية له ، لقد ادعوا بأن محمداً كان يسجد لتمثال من الذهب كانت تخبئه الشياطين له ، و لقد وصمه دانتي بالإلحاد في رواية الجحيم ، و أصبح اسم محمد عنده ، و عند غيره مرادفاً لكلمة كافر أو زنديق ، و لقد كان محمد في نظر كتاب العصور الوسطى تارة ساحراً و تارة أخرى فاجراً شنيعاً و لصاً يسرق الإبل ، و كردينالاً لم يفلح في أن يصبح بابا فاخترع ديناً جديداً أسماه الإسلام لينتقم به من أعدائه ، و صارت سيرته رمزاً لكل الموبقات و موضوعاً لكل الحكايات الفظيعة)[1] .

كما و يقول المؤرخ البيزنطي (ثيوفان)[2] في كتابه (الأحداث التاريخية) انه يحكى ان موت محمد كان بفعل عشرة من اليهود الذين تآمروا عليه بعد ما رأوا فيه المسيح حيث كانوا يرونه يأكل لحم الإبل (و هو شيء محرم في الديانة اليهودية) و مع ذلك فقد ظلوا حوله من أجل الإضرار بالمسيحية . ثم يرسم ثيوفان ملامح حياة النبي محمد (ص) قائلاً : (انه ذهب إلى فلسطين و تحدث مع اليهود و النصارى و تعلم منهم ما تحتويه

---

(1) دراسات في التاريخ الديني ، إرنست رينان ـ باريس (١٨٥٩ م) .

(2) ثيوفان (٧٥١ ـ ٨١٨ م) .

الكتب المقدسة)[1] .

بل ان الأسطورة تأخذ منحى آخر عند الراهب (جيوبرت) رئيس دير نوجينت (١٠٥٢ ـ ١١٢٤ م) ، إذ يلقي بأسطورة جديدة مفادها : ان بطريرك الاسكندرية حين مات أراد راهب ان يخلفه في وظيفته لكنه طرد من الكنيسة ، فوسوس له الشيطان بأن يعلن بأنه المسيح ، و لقد قام هذا الراهب و اسمه (ماثوموس) و هي التسمية التي صار يكتب بها اسم محمد ، بالزواج من أرملة غنية اسمها خديجة و أشاع انه نبي بين حشد من الناس ، و لقد جاء (ماثوموس) ببقرة و وضع بين قرنيها كتاباً صغيراً و أخفى هذه البقرة عن أتباعه ، و في أحد الأيام أخرج هذه البقرة أمام العامة و جعلهم يقرأون الكتاب الصغير الذي كان بين قرنيها ، و قد وجدوا في الكتاب جملاً تحلل لهم كل أنواع الفساد الأخلاقي ، و تبيح لهم أكل كل اللحوم المحرم أكلها على الناس .

يتضح جلياً ان هذه الأسطورة المضللة قد بنى واضعها قصتها على أمرين :

(1) الأحداث التاريخية ، ثيوفان ، ص ٥١١ ، بون (١٨٣٩ م) .



أحدهما : قصة الراهب (بحيرى) التي وردت في كتب السيرة .

و ثانيهما : اسم (سورة البقرة) السورة الثانية الواردة في القرآن الكريم .

من خلال هذين الأمرين نسج خيال كُتاب أوربا في العصور الوسطى هذه الأسطورة المفرطة في الحماقة و الغباء و غيرها من الأساطير الأخرى .

المستشرقون والتشيع:

لقد حظي التراث الشيعي باهتمام المستشرقين إما كفرقة، أو كحدث تاريخي فقد كتبت العديد من الكتابات حول موضوع الشيعة، وما يتعلق بهم، وهي بحق دراسات كثيرة[1] حتى قال عنها الدكتور عبد الجبار الناجي في كتابه (التشيع والاستشراق): (لم يدر في خلدي في بداية الأمر حين شمرت عن ساعدي، وجمعت أدوات بحثي، ومعداته لأرسم مخططاً لمفرداته الدقيقة، بأن تكون إسهامات المستشرقين عن التشيع،

(1) بغض النظر عن محتواها، وأهدافها.

وعن سير أهل البيت بمثل هذه الكثافة، والتركيز نوعاً، وكماً...)[1].

لكن ما يميز هذا النتاج وبشكل عام إنه أتسم بعدم الانصاف، وعدم الدقة وعدم الموضوعية بالتعامل البشري مع الحوادث والنصوص، ذلك بسبب اعتمادهم على التراث الحديثي السني الذي سيطرت عليه الأيديولوجيا السلطوية الحاكمة[2] بما حوته من مرويات موضوعة، وأحاديث، وقصص محرفة، فكانت هذه الروايات المنطلق لجملة من المستشرقين الذين فرحوا بها، وأصبحت محركاً لهم للطعن، والتشويه حجتهم في ذلك أنها من داخل المنظومة الإسلامية، فتمسكوا بها، بل وزادوا عليها بحسب ما يخدم مصالحهم وأهوائهم.

نعم، إنهم وبدراستهم لمذهب التشيع كان هدفهم إبراز الهوة العميقة بين الفرق الإسلامية، وزيادة الشرخ الموجود بالأساس؛ لأن ذلك يخدم سياستهم الاستعمارية. لكن بعضهم

---

(1) التشيع والاستشراق، عبد الجبار الناجي، ص ١١.

(2) كالأيديولوجيا الاموية، وعلى رأسها معاوية بن أبي سفيان واضع أسس مدرسة الدس والتزوير والوضع والتحريف.

درس مذهب التشيع بعد أن تيقن بأن هذه الفرقة الإسلامية قد تم إقصاءها عن عمد، (إن هذا النفر منهم قد وصل إلى نتيجة مفادها ضرورة إقصاء المؤلفات السنية لكل من يريد التدوين التاريخي عن العقيدة الشيعية...)[١].

وعلى كل حال فإن المؤلفات الاستشراقية لم تنصف الشيعة، ولم تكتب عنهم بمنهج علمي خالٍ من الأهواء، أو الميول، أو المؤثرات.

ونحن نقول وبكل ثقة: إنّه لا يوجد أي مؤلَّف استشراقي يخلوا من الملاحظات، والمغالطات عن مذهب التشيع، وعن سيرة أهل البيت (ع).

في الوقت الذي يرفض أغلب المسلمين (سنة وشيعة) مناهج أغلب[٢] المستشرقين، وبالخصوص ـ طبعاً ـ الطاعنة في الدين الإسلامي (عقيدة وشريعة)، ويرفض الشيعة ـ على وجه الخصوص ـ كثيراً من الانتقادات التي وجهها المستشرقون إلى المذهب الشيعي . أن أغلب هذه الانتقادات جاءت من اعتمادهم

(١) التشيع والاستشراق، عبد الجبار الناجي، ص١٧.

(٢) الأغلب وليس الكل.

على المصادر السنية فقط في فهم وقراءة الفكر الشيعي.

فمثلاً: في قضية الغدير، حيث أن الرسول الأكرم (ص) قد نص على أن خليفته في المسلمين من بعده هو علي بن أبي طالب ؑ يوم غدير خم. رغم ذلك نجد أنّ (مارجليوث)[١] في كتاب (محمد وظهور الإسلام. ١٩٠٥م) يستبعد مثل هذه التوصية. كما ونجد (بروكلمان)[٢] في كتاب (تاريخ المسلمين. ١٩٣٩م) يجري على نفس المنوال. وكذلك (جولدتسيهر)[٣] الذي أورد رواية غدير خم بصيغة التشكيك.

يمكن اعتبار القرن الثاني عشر الميلادي[٤] ـ تقريباً ـ بداية معرفة أوربا[٥] بالمذهب الشيعي كعقيدة وتنظيم سياسي وذلك بالتزامن مع الحملات الصليبية زمن (الدولة الفاطمية)[٦]، إلا أن



---

(١) ديفيد صمويل مارجليوث (١٨٥٨-١٩٤٠م) مستشرق انكليزي، عمل قساً في كنيسة انكلترا، ثم أستاذاً لتدريس اللغة العربية في جامعة أكسفورد.

(٢) كارل بروكلمان (١٨٦٨- ١٩٥٦م).

(٣) اجانتس جولدتسيهر (١٨٥٠- ١٩٢١ م) مستشرق يهودي مجري.

(٤) بحسب بعض ما ورد من نظرية تاريخية حول ذلك.

(٥) أو العالم الغربي كما يحلو للبعض تسمية ذلك.

(٦) الدولة الفاطمية، أو الخلافة الفاطمية، أو الدولة العبيدية، هي إحدى دول

الأخبار عن الشيعة صيغت بكثير من الخلط، والتعميم، وعدم الفهم العام، مع وجود التأثير الأيديولوجي السياسي على طبيعة تلك الكتابات.

فمثلاً نجد أن (وليم الصوري)[1] والذي يعتبر أهم مؤرخي الحملات الصليبية في القرن الـ(١٢م) قد نسب إلى الشيعة الاعتقاد بأنّ علياً هو نبي الإسلام الحقيقي، لولا أنّ الملاك جبرائيل أخطأ وأوصل الرسالة إلى محمد[2].

الخلافة الإسلامية، والوحيدة بين دول الخلافة التي اتخذت المذهب الشيعي (الإسماعيلي) مذهباً رسمياً لها، تأسست سنة (٩٠٩ م) وانتهت سنة (١١٧١م).

(١) وليم الصوري (١١٣٠-١١٨٥م) مؤرخ صليبي، رئيس أساقفة (صور) و(القدس)، مستشار الملك (بلدوين الرابع) ملك مملكة بيت المقدس الصليبية، ولد في بيت المقدس من أسرة ذات أصول فرنسية أو إيطالية.

(٢) كان سبب تأكيده على هذا الادّعاء هو وجوده في الكتب السنية التي أخذوا منها بدون تحليل أو تمحيص، علماً إن إثارة مثل هكذا مسائل (تفريقية) تفيد المستعمر الذي رفع شعاره المشهور (فرق تسد) وفق منهج (تلفيقي) بكل معنى الكلمة.

وسار على هذا النهج (يعقوب دي فيتري)[1] الذي تسنم منصب مطران عكا فيما بين (١٢١٦- ١٢٢٨م) والذي روج فيما كتبه من كتابات إلى: أنّ علياً كان نبياً مرموقاً تكلم إليه الله كتقدير تمييزي عن النبي محمد[2].

وكذلك ما روجه المنصّر الشهير (ريكولدو ديمونتو كروس)[3] بأنّ الشيعة يعتقدون بأنّ محمداً اغتصب حقوق عليّ. واعتبر (ريكولدو) أن أتباع علي يحتفظون بقدر من اللطف وأنّهم أقل شيطنة من الأغلبية السنية. وكذلك أمثال دعوات (ريكولدو) المعادية الكثير، فقد تزامنت مع دعوات كثيرة على هذه الشاكلة المعادية للإسلام، نذكر من ذلك على سبيل المثال

(١) يعقوب دي فيتري (١١٧٠- ١٢٤٠ م) مؤرخ وقس ولاهوتي كنسي فرنسي الأصل.

(٢) يراجع كتاب: الشيعة في المشرق الإسلامي تثوير المذهب وتفكيك الخريطة، عاطف معتمد عبد الحميد.

(٣) ريكولدو ديمونتو كروس (١٢٤٣-١٣٢٠م) راهب دومنيكي إيطالي ومبشر شديد الخصومة على الإسلام، له كتاب (تفنيد آيات القرآن).

دعوات (رايمون لول)[1] و(بطرس بسكوال)[2].

كما ونجد جملة من المستشرقين والكتاب الغربيين يعتبرون أن الأفكار الشيعية وبالخصوص بعض الفرق المحسوبة على الشيعة[3] انتحالاً للأفكار الوثنية الإغريقية والفارسية القديمة.

إن الدبلوماسي الفرنسي (جوزيف آرثر غوبينو)[4] الذي

---

(1) رايمون لول أو باللفظ الخاص الصحيح (رايموندوس لولوس) (١٢٣٠-١٣١٥م) فيلسوف كتالوني، أنضم إلى رهبنة الفرنسسكان، انكب على دراسة اللغة العربية والثقافة الإسلامية قاصداً من وراء ذلك دعوة المسلمين إلى المسيحية، له كتاب (الفن الأكبر) الذي حاول فيه أن يدافع عن المسيحية ضد الإسلام، وانتقد فيه فلسفة ابن رشد.

(2) بطرس بسكوال (١٢٢٧-١٣٠٠م) لاهوتي اسباني، له كتاب (الفرقة المحمدية).

(3) الفرق المغالية، والمهرطقة.

(4) جوزيف آرثر دي غوبينو (١٨١٦- ١٨٨٢ م) أديب وديبلوماسي فرنسي اشتهر ببحوثه ودراساته حول الشرق، حيث جمع بين الشعر والصحابة والرواية والفلسفة، وأبرز نتاجاته الفكرية (التفاوت بين الأجناس البشرية) والذي تأثر به أصحاب نظرية العنصرية الجرمانية، وله روايات ومذكرات عديدة منها (الثريا) و (قصص آسيوية) و (جدة وعدن ومسقط ثلاث سنوات في آسيا ١٨٥٥- ١٨٥٨ م) ترجمة: مسعود سعيد

خدم كدبلوماسي فرنسي في طهران بين (١٨٥٥)و(١٨٥٨م) قدم معلومات جديدة للغرب ليس فقط عن الانشقاق السني الشيعي كما صوّره هو، بل عن الاتجاهين الرئيسيين بين علماء فارس: (الإخباريين) و(الأصوليين) أي منظومتي (النقل والعقل)، وهي فروقات أرجعها لأسباب اجتماعية قبل أن تكون دينية بحسب مدعاه.

كما وقد كتب (الفرد فون كريمر)[1] في عام (١٨٦٨م) عن التعصب المفرط للشيعة وعدم تحملهم لغيرهم من أتباع الطائفة المحمدية.

وكتب (كرا دي فو) بعد ثلاثين سنة من تاريخ كتابة (كريمر) أنّ الشيعة لديهم تفكير ليبرالي حر، ويكافحون في مواجهة العقلية السنية المتحجرة ضيقة الأفق. وأن العزلة التي يعيشها الشيعة تنبع من خوفهم من الاحتكاك بالآخر نتيجة



عمشوش. أقام في إيران مدة خمس سنوات وكان مسؤولاً في السفارة الفرنسية بمدينة طهران.

(1) الفرد فون كريمر (١٨٢٨-١٨٨٩م) مستشرق نمساوي، ألماني الجنسية، كان قنصلاً في مصر وبيروت.

نجاسته.

كما ونجد الإدارة البريطانية وفي سبيل تدعيم مكانتها الاستعمارية في الهند، قامت في (كلكتا) بنشر كتاب (شريعة محمد- ١٨٠٥م) وجاء هذا الكتاب عن مصادر شهيرة للشيعة الاثني عشرية، وأهم ما اعتمد عليه هذا العمل كتاب (تحرير الأحكام الشرعية على مذهب الإمامية) وكتاب (إرشاد الأذهان إلى أحكام الإيمان) للعلامة الحلي[1]، وقد قام باختيار النصوص الضابط الإنكليزي (جون بيلي) الأستاذ في الشريعة الإسلامية واللغة العربية والفارسية، وقد سعى (بيلي) إلى نشر عدد واسع من الأسس الشرعية للشيعة الإمامية.

فيما بعد نشرت دراسات مقارنة بين الشريعة لدى المذهب الحنفي والاثني عشري. ولم يكن الأخير سوى مختارات من كتاب (تحرير الأحكام) المتعلقة بأمور الزواج والطلاق والرق والهبات والعطايا والوقف والمواريث. كما وتمت ترجمة كتاب (حياة القلوب) من الفارسية إلى الإنكليزية، وهو كتاب يتناول



---

(1) الحسن بن يوسف بن المطّهر الحلي المعروف بالعلامة الحلي (٦٤٨-٧٢٦هـ).

سيرة النبي الأكرم (ص) كتبه العلامة الشيخ المجلسي[1].





([1]) محمد باقر المجلسي (١٠٣٧-١١١١هـ).

رد الشبهات: مؤاخذات على كتاب (على نهج محمد) للكاتب الأمريكي كارل إيرنست:

عند مطالعة أي كتاب فإن القارئ يحدد جملة من النقاط حول الكتاب المقروء ، سواء كانت إيجابية أم سلبية ، و نجده قد رسم صورة ـ معينة ـ عن الكاتب ، و عن أحداث الكتاب بما يشبه التعايش الحي ، لذا فإن أي كتاب يأخذ مأخذه من قارئه سلباً كان أم أيجاباً .

و بالرجوع إلى كتاب (على نهج محمد : إعادة التفكير في الإسلام في العالم المعاصر) للكاتب الأمريكي (كارل إيرنست)[1] فإننا نحدد جملة من الملاحظات و المؤاخذات حول

---

(1) كارل دبليو إيرنست أو ارنست هو متخصص في الدراسات الإسلامية، مع التركيز على غرب وجنوب آسيا. أبحاثه المنشورة، استنادا إلى دراسة اللغة العربية، والفارسية، والأردية، وقد خصص أساسا لدراسة ثلاثة مجالات: القضايا العامة والهامة للدراسات الإسلامية، الصوفية قبل العصر الحديث والمعاصر، والثقافة الإسلامية الهندية. وقد حصل على زمالات بحثية من برنامج فولبرايت، المؤسسة الوطنية للعلوم الإنسانية، ومؤسسة جون سايمون جوجنهايم، وقال انه تم انتخب زميلا للأكاديمية الأمريكية للفنون والعلوم. وتشمل مشاريعه البحثية الحالية وحجم تحريرها على كراهية الإسلام في أمريكا (بالجريف-ماكميلان، ٢٠١٣)، دراسات المترجمين المسلمين من

الديانات الهندية، وترجمة الشعر العربي من الحلاج. كتابه الأخير هو كيفية قراءة القرآن: دليل جديد، مع تحديد ترجمات (UNC برس، ٢٠١١). تشمل مؤلفاته الأخرى، التي حصلت على العديد من الجوائز الدولية، الدراسات الإسلامية إعادة النظر: من الاستشراق إلى الكونية (تحرره التعاون مع ريتشارد مارتن، ٢٠١٠)؛ وعقب محمد: إعادة النظر في الإسلام في العالم المعاصر (٢٠٠٣)؛ الصوفية شهداء الحب: شيشتي الصوفية في جنوب آسيا وما بعدها (بالاشتراك مع بروس لورنس، ٢٠٠٢)؛ تعاليم الصوفية (١٩٩٩)؛ ترجمة وإزاحة الستار عن الأسرار: يوميات الماجستير الصوفية التي كتبها Ruzbihan Baqli (1997)؛ توجه إلى الصوفية (١٩٩٧)؛ Ruzbihan Baqli: تجربة صوفية والبلاغة من القداسة باللغة الفارسية الصوفية (١٩٩٦)؛ حديقة الخالدة: التصوف، والتاريخ، والسياسة في مركز الصوفية جنوب آسيا (١٩٩٣)؛ وكلمات النشوة في الصوفية (١٩٨٥).درس الدين المقارن في جامعة ستانفورد (اتال ١٩٧٣) وجامعة هارفارد (دكتوراه ١٩٨١). ما قام به جولات البحوث الموسعة في الهند (١٩٧٨-١٩٧٩، ١٩٨١)، وباكستان (١٩٨٦، ٢٠٠٠، ٢٠٠٥)، وتركيا (١٩٩١)، ويقوم بزيارات منتظمة إلى الخليج وتركيا وإيران، وجنوب شرق آسيا للمحاضرات و المؤتمرات. وقد قام بالتدريس في كلية بومونا (١٩٨١-١٩٩٢)، وقد تم تعيينه محاضر زائر في باريس (EHESS، 1991، 2003)، وجامعة إشبيلية (٢٠٠١)، وجامعة مالايا (٢٠٠٥، ٢٠١٠). على هيئة التدريس في قسم الدراسات الدينية في جامعة نورث كارولينا في تشابل هيل منذ عام ١٩٩٢، كان رئيس القسم



هذا الكتاب ، و حول الكاتب ، و أسلوب الكتابة ، و المصادر التي أعتمد عليها ، و ظروف الكتابة ، و المؤثرات التي كان لها الأثر على سير البحث ، و أسباب التأليف و دواعيه .

ووفق كل ذلك وغيره يمكننا القول:

إن عنوان الكتاب الأصلي هو (FollowingMuhammad) ، للكاتب الأمريكي (كارل إيرنست) (Carl Ernst) ، مترجم الكتاب هو (حمزة الحلايقة)، مراجعة و تحرير : مركز التعريب و البرمجة ، و الناشر هي (الدار العربية للعلوم ناشرون) في (بيروت ـ لبنان) ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٨ ميلادي ، ١٤٢٩ هجري .

(١٩٩٥-٢٠٠٠) وزاكاري سميث أستاذ (٢٠٠٠-٢٠٠٥)، وكذلك عضو مجلس إدارة جمعية دراسات الشرق الأوسط. وهو الآن ليم ر كينان، الابن، أستاذ متميز (٢٠٠٥-) والمدير المشارك لمركز كارولينا لدراسة الشرق الأوسط ومسلم الحضارات. وقال انه وبروس لورنس هي محرري الحضارة الإسلامية وسلسلة شبكات مسلم في جامعة نورث كارولينا الصحافة. ينظر موقع : www.unc.edu .

الكاتب قد كتب كتابه ـ تقريباً ـ بعد أحداث (١١ سبتمبر ٢٠٠١ م) ، إذ طبع هذا الكتاب في امريكا عام (٢٠٠٣ م) .

إن اساس هذا الكتاب ـ كما يذكر الكاتب ـ جعل التصوف منهجاً و مدخلاً لفهم الإسلام !؟

الكتاب يحتوي على العديد من التبريرات الغير معقولة حول بعض الاحداث ، و حول بعض الأسس الإسلامية أو المتلبسة باللباس الإسلامي . مضافاً إلى اعتماد الكاتب على مصادر استشراقية ، و معلومات مستقاة من مواقع الكترونية تنحو ذلك المنحى ، إذ نجد ان معلوماته منتقاة بحسب سير تفكيره لا بحسب سير المعلومة العلمية .



الملاحظات النقدية العامة على الكتاب: من حيث التأليف و الترجمة:

١ـ عنوان الكتاب بالعربية هو (على نهج محمد) ، و هذا خطأ وقع فيه المترجم ، فهو بخلاف الأصل الإنكليزي ، لأننا لو رجعنا للكلمة الإنكليزية (فلونك) (Following Muhammad) و معناها الدقيق إتباع محمد ، و المراد منه هو (تتبع محمد من خلال أعادة التفكير في الإسلام في العالم المعاصر أو العصر الحاضر) أو (عَقِبَ محمد) .

و بذلك يظهر الفرق الشاسع ما بين (على نهج محمد) و المراد منها الاقتداء بنهج النبي الأكرم (ص) ، و بالتالي الاعتراف بأن نهجه (ص) هو النهج الصالح و الملائم لكل زمانٍ و مكان . و بين (تتبع محمد) و المراد منها التحري و التقصي لمعرفة مواطن القوة و الضعف في الديانة الإسلامية ، مع عدم إضفاء أي هالة قدسية على شخص النبي الأكرم (ص)[1] ، بل اعتباره شخص عادي قام بتجربة معينة حقق من خلالها نجاحاً معيناً تقبله البعض و رفضه البعض الآخر ، و هذه التجربة و إن حققت بعض

---

(1) و في الواقع لا يمكن لشخصٍ ما أن يقدس ما لا يعتقد به .

الإيجابيات بنظر البعض إلا أنها ـ بنظرهم ـ تملك الكثير من السلبيات ، و يظهر هذا واضحاً و جلياً من خلال مباحث هذا الكتاب ـ أي كتاب كارل إيرنست ـ و ما صرح به بعض المستشرقين و كُتاب الغرب ضد الإسلام ، و الذي أشرنا لبعضٍ منه من باب المثال[1] ، و لمن أراد المزيد مطالعة الكتب المختصة بذلك[2] .

و لو رجعنا للسبب الرئيس و الأساس من ترجمة العنوان بهذا الشيء الملفت للنظر نجده لا يخرج عن سببين رئيسيين ألا وهما:

أ ـ لإفهام القراء و العرب و المسلمين بشكل خاص بأن كُتاب الغرب أصحاب عقول متفتحة ، و أراء عقلانية ، و كتابات محايدة . و هذه الهالة وضعها المتأثرون بالثقافة الغربية ، و أصحاب الشعور بالدونية ممن أنبهر بتلك الثقافة و أنكر ذاته و تراثه أمام حضارة و تطور الغرب .

ب ـ إنها كتابات مدسوسة و مدفوع لها ، هدفها التأثير على

(1) في مبحث (الهجمة التي شنت على الإسلام ، الأسباب و الدوافع) .

(2) و هي الكتب التي تناولت الأستشراق بالنقد و التحليل ، و الكتب التي تصدت لكتابات الغربيين ضد الإسلام .



العقلية المسلمة ، و لنشر الكتابات الغربية ، على حساب التراث العربي الإسلامي ، لتحقيق الإنتشار الواسع للتراث الغربي على حساب التراث الإسلامي ، و للوقوف بوجه المد الإسلامي الذي يهدد كيان الغرب و مصالحه في الداخل و الخارج .

لقد صرح بذلك الرئيس الأمريكي (تيودور روزفلت) في بيان له عام (١٨٩٨ ميلادي) بقوله : (قدرنا أمركة العالم)[١] .

٢ـ المراد الأساسي للمؤلف و هو غير مسلم الكتابة عن الإسلام و المسلمين ، و أن يُفهم الغرب ـ كما هو يدعي ـ بأن المسلمين بشر كباقي البشر فهو يقول لابد من أن نعلم بأن المسلمين هم (كائنات بشرية) من خلال (إقناع الأمريكيين بأن المسلمين عبارة عن بشر)[٢] ، فهو يتفضل علينا بأن يمنحنا شرف الانتساب للبشر ، و أن نعامل ككائنات بشرية[٣] .

في الواقع ليس بالجديد علينا هذه النظرة الاستعلائية من قبل



---

(١) الأستشراق و الوعي السالب ، خيري منصور ، ص ٩١ .

(٢) على نهج محمد ، كارل إيرنست ، ص ١٥ .

(٣) فالكاتب في هذا النص ينقل حقيقة و واقع الرؤية الغربية تجاه العالم الإسلامي ، مما يستدعي إعادة النظر في قضية التعامل مع الغرب وفق ذلك .

الغرب ـ و بالخصوص النظرة الأمريكية ـ للأمم و الشعوب الأخرى و بالخصوص العرب . فيقول (أيميب يترل) في مجلة (هاربر) في توصيفه للعرب و بيان حقيقتهم بما يدعيه هو : (إن العرب أساساً قتلة ، و العنف و الخديعة محمولان في الموروثات العربية)[1] .

فهو يريد القول بأن المسلمين بعيدون كل البعد عن الطبيعة البشرية ، و التي يتمتع بها الغربيون دون غيرهم من الشعوب المتخلفة . بل إن ثروات تلك الشعوب ليست ملكاً لهم ، بل هي ملك للشعوب الغربية ، و هذا ما صرح به وزير الخارجية الأمريكي السابق (هنري كيسنجر)[2] علناً إذ يقول : (نحن معنيون بـ" ١٣٠ " مليون عربي الجاثمين على آبار النفط)[3] .



---

(١) الأستشراق و الوعي السالب ، ص ٩٨ .

(٢) هنري ألفرد كيسنجر : (١٩٢٣ ـ .... م) ، صهيوني من مواليد ألمانيا ، أصبح مستشار الأمن القومي الأمريكي من عام (١٩٦٩) حتى عام (١٩٧٥) ، و تولى حقيبة الخارجية الأمريكية من عام (١٩٧٥) حتى عام (١٩٧٧) ، منح جائزة نوبل للسلام عام (١٩٧٣) رغم المجازر التي أرتكبها في فيتنام .

(٣) عصر المفوض السامي ، نصر شمالي ، ص ١٠٨ .

فالنظرة الغربية الاستعلائية و بالخصوص الأمريكية منها تجاه الشعوب ، هي نظرة تكبرية و حاقدة و حاسدة لتلك الشعوب ، المراد منها إظهار تفوق العرق الغربي على غيره من العروق الأخرى و إظهار التفوق الأمريكي على باقي شعوب العالم ، و هذا بالحقيقة ما صرح به الداعية الأمريكي و المبشر البروتستانتي (هنري لودج) إذ يقول : (لقد جعلنا الله جديرين بالحكم لكي نتمكن من أدارة الشعوب البربرية و الهرمة ، و قد اختار الله الشعب الأمريكي كشعب مختار لكي يقود العالم إلى تجديد ذاته)[١] .

و لم يقتصر الأمر على نفي بشرية الإنسان المسلم فحسب ، بل وصل الحال بكتاب الغرب و مفكريهم و منظريهم إلى نفي كل شيء عنهم ، من فكر ، و حضارة ، و تاريخ ، و حتى الخيال الذي يعتبر المائز للكائن البشري عن غيره من الكائنات .

فنجد ان المستشرق الهولندي (رينهارت دوزي)[٢] يقول : (إن البون بيننا ـ أي الأوربيون ـ ، و بينهم ـ أي العرب ـ شاسع ، فنحن

(١) الأستشراق و الوعي السالب ، خيري منصور ، ص ٩٦ .

(٢) رينهارت دوزي : (١٨٢٠ ـ ١٨٨٣) مستشرق هولندي .

أغنياء الخيال بدرجة تسمح لنا بتذوق الراحة العقلية ، و ندين بتقدمنا لهذا الخيال الذي يرجع إليه فضل تفوقنا ، و حيثما أعوز الخيال استحال النجاح ... أنهم - أي العرب - أقل أهل الأرض خيالاً ، و ليس علينا للتحقق من ذلك إلا اختبار ديانتهم و أدبهم)[١] .

فلا أدري من أين جاء بهذا الكلام - هو و غيره - و على ماذا أعتمد في كلامه و طرحه ، و أي دليل لديه على ذلك .

إن المراد الحقيقي من ذلك هو إثبات (عدم بشرية الإنسان المسلم) ، بنفي كل ميزات البشر عنه ، و تجريده منها بكل صلافة . فهذا الكاتب و المفكر الفرنسي (أرنست رينان)[٢] و في محاضرة له في السوربون بتاريخ (٢٩ - مارس - ١٨٩١ ميلادي) يقول : (إن الديانة الإسلامية بما لها من نشأة خاصة تناهض العلم ، و إن العرب بطبيعتهم لا يصلحون لعلوم ما وراء



---

(١) تاريخ مسلمي إسبانيا ، رينهارت دوزي ، ص ١٨ .

(٢) أرنست رينان (١٨٢٣ - ١٨٩٢ ميلادي) فرنسي ، تميز بالإلحاد و العنصرية ، له (حياة يسوع) و (أبن رشد و الرشديين) .

الطبيعة)[1] .

و يقول أيضاً : (كل إنسان له علاقة و لو بسيطة بمعارف زماننا يرى بوضوح تخلف البلدان الإسلامية ...)[2] .

كما و يقول المستشرق الهولندي (دي بور)[3] عن التاريخ و المؤرخين العرب : (يمتاز مؤرخو العرب الأقدمون كما يمتاز شعراؤهم بالقدرة على إدراك الجزئيات ، و لكنهم لم يقدروا على ربط الحوادث برباط جامع لها)[4] .

و يذكر الكاتب العربي (سالم يفوت) في كتابه (حفريات الأستشراق) بعض الآراء المغرضة و الحاقدة تجاه الإسلام و التي بنتها الكنيسة ، و أفكار العصور الوسطى الحاقدة ، و عقلية الحروب الصليبية ، فيقول : (إن أحد القادة الشيوعيين و المفكرين الكبار في إسبانيا المعاصرة ، و هو (كلوديو سانشيز



(1) جمال الدين الأفغاني ، محمود أبو رية ، ص ٤٠ و ما بعدها .

(2) نبوة محمد في الفكر الأستشراقي المعاصر ، لخضر شايب ، ص ٩١ .

(3) دي بور (١٨٦٦ ـ ١٩٤٢ ميلادي) مستشرق هولندي ، أستاذ الفلسفة بجامعة أمستردام ، له (الغزالي و أبن رشد) و (تاريخ الفلسفة الإسلامية) .

(4) تاريخ الفلسفة الإسلامية ، دي بور ، ص ٤٩ و ما بعدها .

البرنـز)[1] (Claudio Sonchez Albornoz) الـذي شـغل منصـب رئـيس حكومـة الجمهـوريين فـي المنفـى إبـان الحـرب الأهلية الإسبانية ، يدافع في مؤلفاته عن أن سبب تأخر إسبانيا عن باقي البلدان الأوربيـة ، هـو دخـول العـرب و المسـلمين إليهـا ، و الذين أتوا بحضارة و مفاهيم متحجرة تعـوق التقـدم ، ممـا عطـل إسبانيا عن اللحاق بركب التاريخانية)[2] .

و يقول (ريتشارد سوذرن) : (إن هناك أفكاراً ثابتة عن الإسـلام و النبي ، تدخل في التفاصـيل ، و تتجـاوز الحقـب الوسـيطة إلـى الأستشـراق . مـن هـذه الأفكـار الاقتنـاع بافتقـار الإسـلام إلـى الأخلاقيـة و بإبـاء الإسـلام للنقـاش الفكـري ، و بتبلـد المسـلمين العقلي . أما دعـوى اللاأخلاقيـة فتجـد شـواهد فـي سـلوك النبـي الشخصـي ، و فـي عـدم إقبـال المسـلمين علـى المسـيحية رغـم الوضوح الظاهر لحقيقتها . بينما يبقـى أصـل فكـرة " لا عقلانيـة " المسـلمين و تحـريم نبـيهم للحـوار و الجـدل غامضـاً . فـي حـين يتأسس الاعتقاد بتبلد المسلمين على الذهاب إلـى أنهـم جبريـون

---

(١) كلوديو سانشيز البرنز (١٨٩٣ ـ ..... م) .

(٢) حفريات الأستشراق ، سالم يفوت ، ص ٩ .

في العقيدة و الإيمان ، و بالتالي فإنهم لا يقبلون على استخدام عقولهم حتى لا يفقدوا إيمانهم)[1] .

٣ـ يقول المؤلف ـ أي كارل إيرنست ـ بأن من أهدافه (الكشف عن الوجه الإنساني للإسلام)[2] ، و لا أدري هل قصر الدين أم عز الناصر و المعين ليأتي شخص بعيد عن الإسلام ـ إذا لم يكن عدواً له ـ ليبين إنسانية الإسلام . أليس الإسلام هو دين الله تعالى ، أوليس الله تعالى هو خالق البشرية و رازقها و المعتني بها ، ألم يؤكد في جميع الأديان على أهمية الإنسان و إنه خليفة الله في الأرض و أن جميع المخلوقات خلقت له و من أجله و لخدمته . لنذهب للقرآن الكريم ، كتاب الله العزيز ، و المصدر التشريعي الرئيسي للإسلام ، لنستعرض آياته بحق الإنسان و كرامته و عزته ، أليس في القرآن سورة كاملة باسم (سورة الإنسان) . ألم يؤكد القرآن الكريم على عزة و كرامة الإنسان ، ألم يشر القرآن إلى أهمية حقوق الإنسان ، ألم يذكر القرآن الكريم أن قتل نفسٍ ما فضلاً عن كونها بشرية هو قتل للبشرية جمعاء . كما و



---

(١) صورة الإسلام في أوربا في العصور الوسطى ، ريتشارد سوذرن ، ص ١٣ .

(٢) على نهج محمد ، كارل إيرنست ، ص ١٨ .

إن المستعرض لآيات القرآن الكريم يجد أن لفظ (الإنسان) قد ورد (٥٩) مرة في (٥٧) آية من آيات القرآن الكريم .

منها قوله تعالى : ((وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا))[١] .

لكن التكبر و الاستعلاء الغربي يأبى التنازل و التفكير بعقلانية و إنسانية تجاه الإسلام ، فيبقى متكبراً في كل شيء حتى في أفكاره ، فضلاً عن تاريخه المرير المليء بالصراعات و حروب القتل و سفك الدماء . يقول المستشرق الإنكليزي (هاملتون جب)[٢] : (... نحن اليوم أمام جو مثقل بالدعاية ، فمن واجب كل باحث إذن أن يحدد بدقة لسامعيه و لنفسه المبادئ التي يركز عليها وجهة نظره ...)[٣] .

إن من الواجب ان لا يعطي الباحث للجماهير من السامعين



(١) سورة الإسراء ، الآية ٧٠ .

(٢) هاملتون جب (١٨٩٥ ـ ١٩٧١ ميلادي) مستشرق إنكليزي متأمرك ، له (الاتجاهات الحديثة في الإسلام) .

(٣) الاتجاهات الحديثة في الإسلام ، هاملتون جب ، ص ٢٢ .

والمتلقين أفكاراً مؤدلجةً هدفها واضح و غاياتها معروفة ، و لا يحاول الباحث أن يبث الدعايات المغرضة التي لا واقع لها وسط جمهور المتلقين خدمةً لأهداف السياسة و الدوائر الحاكمة ، و لا يكتب الباحث أفكاره و أحكامه المسبقة و التي تعكس عقليته و دينه و أيدولوجيته و عرقه و ما يؤمن به من أفكار و معتقدات هدفه في ذلك إثبات صحتها بفكر دوغمائي إقصائي بحت .

بل على الباحث الحقيقي أن يبحث عن الحقيقة و يفتش عنها و يصرح بها رغم كل شيء ، و ضد كل معارض . فالحقيقة أمانة علمية على الباحث أن يؤديها بالشكل المطلوب ، و أن يعطيها ما تستحقه في ميزان البحث العلمي من احترام و تقدير ، و إعلانٍ و إظهارٍ لها ليعرفها الجميع و يستفيد منها طلاب العلم و الباحثين عن الحقيقة .

لكن و على العكس نجد أن مقولة (أن التاريخ يكتبه المنتصر) و (الإعلام بيد الأقوى) هو السائد ، و هو المسيطر ، و بالتالي تكونت و تشكلت أفكار حتى صارت حقائق و تاريخ يُرجع إليه عن قضايا بنتها الدعاية ، و شكلها المنتصر ، و ألفها المتغطرس ، كان على الكل القبول بها على مضض ، و هذا ما نعاني منه في

تراثنا العربي الإسلامي ، و كذلك المعاناة متبادلة بالنسبة للشعوب الغربية بما فرض عليهم من أفكار شكلت فيما بعد العقلية الغربية باتجاهاتها و ميولها و خزينها الفكري عن الشعوب الأخرى .

يقول الدكتور عبد الجبار ناجي : (إن ما ورد من تفسيرات حاقدة في مؤلفات كتاب العصور الوسطى قد أثرت في الفرد الأوربي كثيراً ، ثم أتسع الاعتماد عليها في تشويه صورة الإسلام ... و تجاوز تأثير هذه الأساطير و الأباطيل حتى أمتد إلى كتابات القرن السابع عشر للميلاد ...)[١] .

أما فيما يخص طبيعة و حقيقة الفكر الأمريكي لأننا هنا بصدد الكلام عن كاتب أمريكي و عن كتابه الذي ألفه عن النبي محمد (ص) و عن الإسلام ، و وضع فيه عصارة الفكر الأمريكي الغربي ، المبني على تراث فاقد للقيمة التاريخية بسبب انعدام التاريخ و فقدان البعد التاريخي في الكتابات الأمريكية حول أمريكا و فيما يخص الكتابات الأمريكية عن العالم ، و ذلك لكون أمريكا بلد جديد لا جذور تاريخية له . فلقد بنيت الأفكار الأمريكية من خليط غير متجانس من الأطروحات الاستعمارية و

(١) التشيع و الأستشراق ، عبد الجبار ناجي ، ص ١٣٩ .

الليبرالية و العنصرية و الاستبدادية ، و من التطور المفاجئ و السريع و الحرية الزائدة و ضرب القيم و الثوابت مقابل التحرر و التطور و الفائدة . فكان عدم التجانس هذا ليس على مستوى الأفكار الداخلية و بنية التاريخ الأمريكي فقط ، بل كان على مستوى التعامل مع الآخرين . و سوف نشير لأمور مهمة حول هذا الفكر الخليط و غير المتجانس في الفقرات القادمة بما يتلائم و سير البحث إن شاء الله تعالى .

٤ـ في عنوان (الإسلام في عيون الغرب)[١] يبين المؤلف جهل الأمريكيين بالإسلام ، ليحصر الغرب كله بأمريكا ، و كأن العالم هو أمريكا و أمريكا هي العالم . على الرغم من عدم تاريخية الفكر الأمريكي ، إلا أن الباحث يصر على إعطاء أمريكا دوراً مهماً في نظرها للإسلام على مستوى الحضارة و التاريخ . و هو و على الرغم من كونه حقيقة ، و كون الشعب الأمريكي جاهل بالثقافات الأخرى ، و بالخصوص الإسلام ، إلا أن حصر الغرب و الفكر الغربي بأمريكا خطأ كبير لجانبين مهمين:

(١) على نهج محمد ، كارل إيرنست ، ص ٢٣ ـ٥٤ .

أولهما : كون أمريكا لا تمثل إلا دولة من دول الغرب ، و ليست أمريكا ممثلة للغرب .

و ثانيهما : ما أعترف به المؤلف من جهل أمريكا بالإسلام و بالثقافات الأخرى ، و هو ما صرح به العديد من الكتاب و المؤلفين و أكدوا عليه .

يقول أستاذ التاريخ في جامعة كولومبيا الأمريكية الأستاذ (ادوارد ميد أيرل) عن دور التبشير في بناء الثقافة الأمريكية : (... إن الرأي العام الأمريكي فيما يتعلق بالشرق قد خلقه المبشرون منذ قرن كامل . فإذا كان الرأي العام الأمريكي قد طويت عنه بعض المعلومات أو غذي بمعلومات خاطئة أو دفع إلى موقف عدائي ، فإن المبشرين هم الملومون في أكثر ذلك ، لأن النظر إلى التاريخ على أساس انتشار النصرانية قد حمل هؤلاء المبشرين على أن يقدموا لنا في الولايات المتحدة صورة ناقصة مشوهة أو ساخرة في بعض الأحيان للمسلمين و للإسلام ...)[1] .



(1) التبشير و الاستعمار في البلاد العربية ، عمر فروخ و مصطفى خالدي ، ص ٢٣ .

إنَّ ٩٥٪ من الأمريكيين ليس لديهم علاقة بأي شخص مسلم، ولا يحصلون على كل المعلومات التي لديهم حول الإسلام إلا عن طريق وسائل الإعلام والأفلام؛ ولذلك يتخيَّلون أن القرآن مصدر الإرهاب، وهذا بعيد تمامًا عن الحقيقة، ولكنها طريقة ملائمةٌ لتحميل نصِ ّ دين أجنبي مسؤوليةَ المشكلات السياسية المعاصرة.

نعم إن لأمريكا رأياً خاصاً حول الإسلام لكن على مستوى السياسات و المصالح و الاستراتيجيات و المنافع و المكاسب . لذا يبين الدكتور (عبد الوهاب المسيري) حقيقة أمريكا و تشابهها مع الكيان الصهيوني الفاقد للتاريخ إذ يقول : (إن الدارس للوجدان الأمريكي و الصهيوني يلاحظ التشابه و التطابق بينهما على الرغم من أن الحضارة الأمريكية لا يزيد عمرها على بضعة قرون ، كلاهما يرفض التاريخ و يحوله إلى أسطورة)[١] .

إن الأستشراق الأمريكي يعد استشراقاً متأخر مقارنة بمدارس الأستشراق الأخرى في العالم ، لذا نراه استشراقاً يجتر تجارب الآخرين و يعيد صياغتها ، و ليست له وجهة نظر مستقلة ، بل إنه استشراق أسس على الاستعمار المدفوع من مصالح استراتيجية



---

(١) الفردوس الأرضي ، عبد الوهاب المسيري ، ص ٢٢ .

بسبب ظهور النفط في الشرق و ما به من ثروات لذلك كان توجهه للشرق ، فالمصلحة و ليس العلم هو المائز للفكر الأمريكي بشكل عام .

يقول الكاتب (نعوم تشومسكي) : (إن الأولوية ـ لدى الغرب ـ للأرباح و القوة ، أما الديمقراطية التي تتعدى الشكل فهي خطر يجب تجنبه ، و أما حقوق الإنسان فهي ذات قيمة ذرائعية في خدمة الأهداف الدعائية لا أكثر) .

نعم ، (فالغرب ، في مرحلة ما من مراحل تطوره ، غرس في ذاته بذرة إلغاء الآخر و التفوق عليه ...)[١] .

لذا يقول الكاتب (جوزيف نيدهام) : (لدينا ما يكفي من الحجج و البراهين ليسمح لنا بالقول : إن مشكلات العالم لن تحل ما دمنا ننظر إليها من وجهة نظر غربية صرفة)[٢] .

٥ــ أراد المؤلف أن يكون المحامي و المدافع عن المرأة المسلمة ، و إنها تعاني الظلم و الجور و الاضطهاد ، و إن الإسلام



---

(١) الإسلام و الغرب حوار الحروف و صدام السيوف ، راجي أنور هيفا ، ص ٦٠ .

(٢) ما يعد به الإسلام ، روجيه غارودي ، ص ١٤٣ .

و المسلمين يظلمون المرأة ليأتي الغرب ليدافع عنها و يحررها و ينتصر لها .

فيقول : (إن بروز النساء في المجتمع الإسلامي المبكر يقف على عكس الصورة التي تحظى بها النساء المسلمات اليوم ... فالصورة النمطية للمرأة المسلمة تظهر إنساناً مضطهداً من قبل الرجال ، و مقيد بلزوم البيت ، و محتجب في الخارج ...)[1] .

هنا سنستعين برد قاله الكاتب و المفكر الفرنسي (روجيه غارودي) ما نصه : (في فرنسا لا يرتقي إلا أقل من ٤٪ من النساء العاملات إلى مراكز الكوادر العليا ، كما أن نسبتهن بين رؤساء المنشآت لا تتجاوز ٧٪ ، إن النساء يشكلن ٧٠٪ من مستخدمي المكاتب و ٨٠٪ من الخدم ، و يتقاضين أجوراً أقل بـ٣٠٪ من أجور الرجال ...)[2] .

و في انكلترا الإمبراطورية التي لم تكن الشمس تغرب عنها حَرَم الملك (هنري الثامن) على المرأة قراءة الكتاب المقدس ، و قد

(١) على نهج محمد ، كارل إيرنست ، ص ١٨٤ .

(٢) نقد مجتمع الذكورة ، روجيه غارودي ، ص ٥٣ ، مع العلم أن هذه الإحصائيات التي ذكرها الكاتب تعود إلى عام ١٩٨٠ ميلادي



بقيت النساء حتى عام (١٨٥٠ ميلادي) غير معدودات من المواطنين ، و بقين حتى عام (١٨٨٢ ميلادي) دون حقوق شخصية ، و لا حق لهن في التملك الخالص[1] . بل لحد الآن في انكلترا فإن النساء العاملات يأخذن نصف رواتب الرجال ، إن لم يكن أقل .

كما و ان النساء في إنكلترا لم يحصلن على حقوقهن في الملكية الكاملة بالنسبة إلى المتزوجات على الأملاك و ما شاكل إلا في القرن التاسع عشر الميلادي (١٨٧٠ ـ ١٨٨٢ م) ، في حين أن الشريعة الإسلامية ضمنت للنساء المسلمات حق الملكية و الميراث منذ القرن السابع الميلادي .

٦ـ المنهج و الفكر الاقصائي للشيعة ، حتى إنه وصفهم بالطائفية ، و إنهم فرقة خارجة عن الإسلام ، و دخيلة عليه ، و ليست منه ، و إنها من الفرق التي أسسها غير العرب (الفرس) كيداً و حقداً للعرب الذين أطاحوا بإمبراطورية الفرس .

([1]) أخلاق أهل البيت عليهم السلام ، السيد مهدي الصدر ، ص ٢٧٥ .

إذ يقول كارل إيرنست : (و لا يقل الوضع صعوبة بالنسبة للتعريفات التي يعرف الإسلام من خلالها ، فلابد لها من التصادم مع كل من الحركات الطائفية مثل الفرق الشيعية المتعددة ...)[١] .

لقد قرر و حدد كارل إيرنست أن الشيعة طائفيون ، لكنه و في صفحة أخرى يقول : (أنه من السخافة أن يحاول شخص ليس له أي صلة بالموضوع لا من قريب و لا من بعيد تحديد التأويل الأجدر بالشرعية)[٢] .

فكيف حدد كارل إيرنست أن الشيعة طائفيون ، أليس ذلك من السخافة ؟؟ .

في الواقع ان رأي كارل إيرنست حول الشيعة لم يأتِ من فراغ ، بل هو نتاج أفكار ، و حصيلة تراكمات الكتابات الغربية حول الشيعة و التشيع . و بالتالي يبين نظرة الغرب للشيعة.

يقول الكاتب الفرنسي (فرانسوا تويال)[٣] عن الشيعة : (إن

(١) على نهج محمد ، كارل إيرنست ، ص ٨٢.

(٢) م ، ن ، ص ٨٥.

(٣) فرانسوا تويال : مدير للدروس في المدرسة الحربية العليا للجيوش الفرنسية (أرض ، جو ، بحر) ، و مستشار لرئيس مجلس الشيوخ الفرنسي ، و

الحزام الشيعي في الخليج ما أنفك يقلق القيادات السياسية والعسكرية و يبلبل مخططات الدوائر السياسية و أسس تفكيرها)[1] .

أما البناء الفكري عن الشيعة و التشيع بالنسبة للغرب فلقد بنته أفكار المستشرقين المتأثرة بالسياسة و أفكار العصور الوسطى و الحروب الصليبية ، و الروايات الموضوعة من قبل وعاظ السلاطين و أعداء الشيعة[2] .

يقول الدكتور عبد الجبار ناجي : (إن الكثير من المستشرقين عند الكتابة في ميادين من التاريخ الإسلامي و لاسيما بالنسبة إلى الجيل الأول منهم يصرون ـ بسبب سيادة الرواية الأموية و العباسية ـ على إقصاء عقيدة التشيع ، أو إقصاء الحركات الشيعية من أحداث التاريخ الإسلامي ... و لهذا تصور لا بل تيقن عدد

متخصص بالدراسات الاستراتيجية ، و له فيها حوالي (٢٥) كتاباً ، صاحب كتابات ضد الشيعة .

([1]) الشيعة في العالم ، فرانسوا توبال ، ص ١٦٨ ـ ١٦٩ .

([2]) فالكثير من أفكار الغرب جاءت من الفكر السني الذي ترجمه المستشرقون بكل سلبياته ، و لم يكلفوا أنفسهم البحث و التنقيب بأمانة و موضوعية ، و هنا حكم الكاتب على الشيعة بلسان السنة .

من المستشرقين القدامى أن حركة التشيع ما هي إلا حركة منعزلة و ذات تأثير ضئيل في التاريخ الإسلامي ...)[1] .

و ليكن بالمعلوم أنه ليس هناك أي دراسة ممنهجة و حيادية عن الشيعة لدى الغرب ، و لم يترجم أي كتاب شيعي حقيقي و منصف للغات الغربية ، و هذا ما صرح به أكثر من كاتب غربي . فلقد صرح المستشرق البريطاني (أدورد براون)[2] عام (١٩٢٤ ميلادي) في كتابه (الأدب الفارسي في العصور الحديثة) (بأن المستشرقين عامة تنقصهم دراسة أو دراسات موثقة و علمية عن الشيعة و العقيدة الشيعية بلغات أوربية) .

و ما الحرب الدائرة اليوم ضد الشيعة من قبل الغرب إلا تلك الحرب القديمة التي قام بها و شنها أعداء الشيعة بالأمس ، فنراها اليوم تتكرر بعناوين جديدة ، و على يد اعداء جدد . في الحقيقة ما هي إلا حرب يمارسها الغرب بدفع من أعداء الأمس ، و بنفس الأموال ، و بنفس العقليات الإقصائية و الجمودية .

---

(1) التشيع و الأستشراق ، عبد الجبار ناجي ، ص ١٥-١٦ .

(2) ادوارد كرانفل براون : (١٨٦٢ ـ ١٩٢٦) مستشرق انكليزي تخصص في الأدب الفارسي .

يقول الدكتور عبد الجبار ناجي بهذا الصـدد : (أن دولاً عربيـة و إسـلامية فـي المظهـر كانـت و مـا زالـت تـدفع الغـرب و الـدول الإسلامية بشكل سافر و علنـي ضـد الإسـلام الشـيعي الـذي بـات يهدد بل يكشف زيفهم و تلاعبهم بالقيم الإسلامية الصادقة التـي يؤمن بها الإسلام الشيعي ... لكن أمريكا مدت يـدها إلـى هـؤلاء بتحركهـا الاسـتعماري لكـبح النهضـة الجديـدة للإسـلام الشـيعي المتطلع لمستقبل حر فعلاً ...)[١] .

و يقول الأستاذان (بول لفت) و (كولن تيرنر) محققـا كتـاب (الشيعة) و هما يشرحان في مقدمة الكتاب أهدافهما فـي إخراجـه فيقولان : (إن أهم تطور في الأحداث العالمية بعد انهيار الاتحاد السوفيتي هو العلاقة بـين الغـرب و العـالم الإسـلامي ، و أن أناسـاً في بعض الدوائر في العـالم الإسـلامي قـد سـاعدوا علـى تحديـد هوية الإسلام و كأنه بعبع آخر بالنسبة للغرب ، ذلك الذي عـرف في أمريكا بالحرب على الإرهاب ، فإن المواجهـة بـين الغـرب و الإسلام هو في حقيقته المواجهة مع الإسلام الشيعي)[٢] .

---

(١) التشيع و الأستشراق ، عبد الجبار ناجي ، ص ٣٠١ .

(٢) م ، ن ، ص ٣٠١.

أما السبب الحقيقي وراء عداء الغرب للشيعة لأن (الشيعة صارت أفقاً يصعب تخطيه ، ليس إلى المهتمين بالشؤون الإسلامية أو إلى مؤرخي الأديان وحدهم ، بل أيضاً بالنسبة إلى العاملين في مجال الجغرافيا السياسية)[١] .





(١) الشيعة في العالم ، فرانسوا توبال ، ص ٢٧ .

لامنس يعود من جديد: روح لامنس و جسد كارل إيرنست

يقول كارل إيرنست : (... و عندما بدأ محمد استقبال الوحي كانت خديجة هي الشخص الذي وثق به تمام الثقة ، في الوقت الذي فقد فيه الثقة بذاته ...)[1] .

و هذا قول مأخوذ من التراث الحديثي السني ، أعتمد عليه كار إيرنست للتشكيك بشخص النبي (ص) . مع الأسف ان هذه الترهات تعتبر من التاريخ الإسلامي ، و هي تُدرس للناشئة في المدارس و في جميع الدول الإسلامية .

كما و يقول كارل إيرنست : (و لم يكن التوحيد شيئاً غريباً في شبه الجزيرة العربية على الإطلاق ، فقد كانت هنالك جماعات من اليهود و أحياناً رهبان مسيحيون في شبه الجزيرة ...)[2] .

أولاً : من قال بأن اليهود و المسيحيون موحدون ؟ فتعدد آلهة اليهود ، و التثليث المسيحي يتنافى مع الوحدانية ، لذا فهذا إدعاء لا دليل عليه و لا أصل له .

ثانياً : لم يستطع (اليهود) في أي فترة من فترات تاريخهم أن

---

(1) على نهج محمد ، كارل إيرنست ، ص ١٢١ .

(2) م ، ن ، ص ١٢٢ .

يستقروا على عبادة الله الواحد الأحد ، الذي دعا لعبادته الأنبياء و المرسلين (عليهم السلام) ، بل كان اتجاههم إلى التجسيم و تعدد الآلهة هو الصفة البارزة لكل متتبع لتاريخهم و لكتبهم الدينية المشهورة[١] . كما و ان كثرة أنبيائهم دليلاً على تجدد الشرك فيهم ، لذا فقد تعدد الإله عندهم ، و بالتالي تعددت أسماؤه و صفاته و قابلياته و اختصاصاته و سوف نستعرض أشهر أسماء الرب أو الإله في الديانة اليهودية .

١ـ أدوناي :

كلمة (آدون) في اللغة العبرية بمعنى : مولى ، سيد ، بعل ، رب[٢] ، و قد جاءت في العهد القديم (٣٣٤) مرة ، فقد جاءت في أكثر من (١٠٠) موضع بصيغة الجمع (أدونيم) : أي سادة[٣] .

و كلمة (أدوناي) أسم من أسماء الرب ، و قد جاءت في العهد

---

(١) كالتوراة و التلمود .

(٢) الهدى إلى دين المصطفى ، البلاغي ، ج ٢ ، ص ٣١٣ .

(٣) ألفاظ العهد القديم كتاب الهدى إلى دين المصطفى للشيخ البلاغي أنموذجاً ، ستار الفتلاوي ، ص ٧١ .

القديم أكثر من (٤٢٥) مرة[1] .

٢ـ إيل :

إيل أسم من أسماء الله في العبرية و يعني : القـدرة ، القـوة[2] . و قد ورد في العهد القديم (٢٣٥) مرة .

و إيـل : إلـه الأقـوام السـامية عموماً ، و يعـد الإلـه العظـيم الـذي قدسته هـذه الأقـوام منـذ أقـدم العصـور ، فقـد ورد فـي نصـوص أكدية بصيغة (إل ، إيل)[3] .

و جاء في قاموس الكتاب المقدس أن (إيل) أسم من أسماء الله فـي العبريـة ، و تسـتعمل بمفردهـا للدلالـة علـى الإلـه الواحـد الحقيق[4] .

٣ـ إيلوهيم :

و (إيلوهيم) أحد أسماء الإله عند اليهود ، و هي صيغة الجمع من كلمة (إيلوه) : إله ، و قد جاءت في العهد القـديم (٢٦٠٣)



---

(١) المصدر السابق ، ص ٧٢ .

(٢) الهدى إلى دين المصطفى ، البلاغي ، ج ٢ ، ص ٣٠٢ .

(٣) من تراثنا اللغوي القديم ما يسمى في العربية بالدخيل ، طه باقر ، ص ٤٨ .

(٤) قاموس الكتاب المقدس ، ص ١٤٢ .

مرة ، و قد اختلفت دلالة هذا الاسم في العهد القديم بعدة صور منها :

أ - للدلالة على خالق العالم ، رب السموات و الأرض .

ب - للدلالة على الآلهة ، آلهة الشعوب .

ج - للدلالة على لقب محترم لشيوخ القضاة من بني إسرائيل .

د - للدلالة على الملائكة ، أو رسل الرب .

٤- يهوه :

و (يهوه) هو معبود بني إسرائيل ، و هو أسم علم مفرد مذكر ، و روعيَ في وضع هذا الاسم الدلالة على كينونة الذات الإلهية في الأزل و الأبد و الحال[١] . و (يهوه) باعتبار أحبار اليهود و ما ينسب لنبي الله موسى (ع) ، واحد و لكنه ليس الإله الوحيد في العالم ، و من ثم ليس إله البشر أجمعين ، و هذا الإله الواحد مقصور على بني إسرائيل وحدهم ، أما الشعوب و الأمم الأخرى فلها ألهتها الخاصة التي تحميها و ترعاها . و قد جاء اسم (يهوه) في العهد القديم (٦٦٣٩) مرة . أما صفات (يهوه) فهي و بحسب كتب اليهود :

---

(١) دروس في اللغة العبرية ، ربحي كمال ، ص ٥٦٧ .

أ ـ راكب الغيوم ، و يركب السماء و الغمام ، و في العاصفة طريقه ، و السماء مركبته ، الماشي على أجنحة الريح[١] .

ب ـ إله الرعد ، إله المجد أرعد[٢] .

ج ـ خالق العالم ، يقتل الحية الهاربة ، و التنين ، و لوياثان[٣] .

د ـ وصف في نصوص معينة باللامحدودية و عدم الحصر و عدم الإحاطة مطلقاً ففي النص : (لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً و لا صورة مما في السماء من فوق ، و ما في الأرض من تحت ...)[٤] .

هـ ـ كونه غير معصوم ، و كثيراً ما يقع في الخطأ و الندم ففي النص : (فندم الرب على الشر الذي قال أنه يفعله بشعبه)[٥] .

و ـ و قد يأمر بالسرقة ففي النص : (تطلب كل امرأة منهم من



---

(١) و هذه الصفات مستنسخة عن الإله بعل في النصوص الأوغاريتية .

(٢) و هي مستنسخة عن الإله هدد الآرامي .

(٣) و هي مستنسخة عن الإله مردوخ البابلي .

(٤) سفر الخروج . ٢ : ٤ .

(٥) الخروج . ٣٢ : ١٤ .

جارتها أو من نزيلة بيتها أمتعة فضة و أمتعة ذهب و ثياباً و تضعونها على بنيكم و بناتكم فتسلبون المصريين)[1] .

و أوصاف كثيرة يمكن التعرف عليها من مراجعة الكتب المختصة بذلك[2] .

و بحق انه و ان اختلفت الاجساد فإن الروح الخبيثة تبقى واحدة ، نعم ان الجسد هو جسد كار إيرنست ، لكن روحه هي نفس روح هنري لامنس ، و ذلك أقل توصيف يمكن ان نصف به كار إيرنست .



---

(1) الخروج . ٣ : ٢٢ .

(2) يراجع مثلاً كتاب (مقارنة الأديان) ، أحمد شلبي ، ج ١ (اليهودية) .

حقد واضح:

يقول كارل إيرنست : (و غالباً ما كانت عشيرة محمد تحميه من غيظ أعدائه ، و مع ذلك فقد كان واقعاً تحت الذل و الإهانة...)[1] .

لم يكن النبي محمد (ص) ذليلاً و لا مهاناً . بل كان رسول الله (ص) عزيزاً ، جاء بالعزة ، تشهد على ذلك آيات القرآن الكريم .

قال تعالى : ((لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ))[2] .

و قال تعالى : ((لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا))[3] .

كما و يقول كارل إيرنست : (... من المستحيل بالنسبة للنبي محمد أن تكون لديه هذه المعرفة العلمية ...)[4] .

إنا تشكيكات أثارها و يثيرها كار إيرنست و الذي تراه فترة يدعي الصوفية و التصوف ، و فترة يجلس مع الوهابية و يُنظر

---

(1) على نهج محمد ، كارل إيرنست ، ص ١٢٣ .

(2) سورة التوبة ، الآية ١٢٨ .

(3) سورة الأحزاب ، الآية ٢١ .

(4) على نهج محمد ، كارل إيرنست ، ص ٢٠٢ .

لهم ، و تارة يطعن بالقرآن و أخرى يؤلف كتاباً اسمه (كيف نقرأ القرآن) !؟

انها بحق تشكيكات أخذها هو و من على شاكلته من كتب المستشرقين القدماء ، و من ايديولوجيات و خطط المخابرات العالمية ، و من كتب التصوف و كتب اتباع محمد بن عبد الوهاب.

خلط أوراق:

يقول كارل إيرنست : (و قد أخذ المفكرون المسلمون يتأملون في مسألة شرعية محمد لسنوات عديدة ، فمن ناحية قال في حديثه : " اختلاف أمتي رحمة " . و لكن من ناحية أخرى فقد نص على أنه : " لا تجتمع أمتي على ضلالة " . و في مسعى لحل عدم التطابق تم اللجوء إلى وسيلة فنية مختصرة ترفض هذه الأحاديث من منطق الجرح التقليدي برواة هذه الأحاديث ...)[١] .

لقد بيّن الإمام الصادق(عليه السلام) المراد من مضمون هذا

(١) على نهج محمد ، كارل إيرنست ، ص ٢٦١ .

الحديث النبوي. فقد روى الصدوق[1] بسنده عن عبد المؤمن الأنصاري، قال: قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): إن قوماً يروون أن رسول الله(ص) قال: (اختلاف أمتي رحمة). فقال: صدقوا. فقلت: إن كان اختلافهم رحمة فاجتماعهم عذاب؟ قال: ليس حيث تذهب وذهبوا، إنما أراد قول الله عز وجل: ((فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كلّ فِرْقَة مِنْهمْ طَائفَةٌ لِيَتَفَقَّهوا في الدّين وَلِيُنْذروا قَوْمَهمْ إذَا رَجَعوا إلَيْهمْ لَعَلَّهمْ يَحْذَرونَ))[2].

فأمرهم أن ينفروا إلى رسول الله(ص) ويختلفوا إليه، فيتعلموا ثم يرجعوا إلى قومهم فيعلموهم، إنما أراد اختلافهم من البلدان وليس اختلافاً في دين الله ، إنما الدين واحد. فالمراد بالاختلاف في الحديث النبوي المذكور هو الذهاب والمجيء إلى حلقات العلم كما في قوله تعالى من معنى الاختلاف أي الذهاب والمجيء ، أو الرجوع . قال تعالى : ((وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ))[3] .

---

(1) علل الشرائع ، ج١ ، ص ٨٥.

(2) سورة التوبة ، الآية ١٢٢ .

(3) سورة المؤمنون ، الآية ٨٠ .

مسألة الدين و التشريع:

لقد أثيرت الكثير من الشبهات حول مسألة التشريع ، و هل انها من الله تعالى ، أم هي من عند النبي (ص) حصراً و اجتهاداً .

بل كان السؤال من أين تأتي هذه التشريعات خصوصاً عند من لا يؤمن بالله تعالى ، و من لا يقر بنبوة النبي محمد (ص) ، بل كذلك الحال فيمن يساوي النبي الأكرم بغيره كالذين يساوونه (ص) بمن يسمون بـ(الصحابة) ، و يجعلون تشريعاته (ص) كتشريعاتهم ، بل يقدمون تشريعات (الصحابة) على تشريعات النبي (ص) .

و السؤال المهم هنا هو : من أين تأتي التشريعات ؟ و هل النبي (ص) له حق التشريع ؟ و كيف نميز بين تشريع الله تعالى و بين تشريع النبي (ص) ؟

نقول : لقد كان ذلك وفق مبدأ (التفويض)[1] أي : تشريع جزئي في الموارد المحددة ، و فيها ان النبي (ص) قام بتشريع بعض الأحكام قبل نزول الأحكام الإلهية أو بعدها ، و امضاها الله تبارك و تعالى .

(1) التفويض بمعناه المعتدل لا بمعناه المتطرف .

و هذا المعنى هو المستفاد من مجموعة من الروايات الواردة في باب التفويض[1] ، و هو ان الرسول الأكرم (ص) قام بالتشريع في موارد محدودة بإذن الله تعالى و لعلها لم تتجاوز حدود العشرة موارد ، و ان الله تعالى قد أمضى هذا الأمر .

و بعبارة أخرى : ان الله تعالى قد أعطا النبي الأكرم (ص) هذه الصلاحية في قيامه بالتشريع في بعض الموارد ، و من ثم امضاها .

و يستفاد من هذه الروايات ان الله تعالى قد اعطاه (ص) هذا المقام لعدة اسباب منها :

١ـ لكي يبين عظمة مقامه و منزلته و بأن تشريعاته من سنخ تشريعات الله تعالى.

٢ـ لكي يمتحن الناس و يرى مدى تسليمهم لأوامر النبي (ص).

٣ـ ان الله تبارك و تعالى قد ايده بروح القدس و اطلعه من خلال ذلك على اسرار الأحكام الإلهية .

---

(1) لقد جمع الشيخ الكليني الروايات المتعلقة بموضوع التفويض في الجزء الأول من أصول الكافي ، و صنفها في باب واحد ، و نقل في هذا الباب عشرة أحاديث .

و هـذا الأمـر لـم يخـلُ مـن إثـارة الشـبهات عليـه ، فقـد أثـار المستشـرقون و كـذلك الملحـدون ، و المعـادون للنبـي الأكـرم (ص) الكثير من الشبهات على مسألة التشريع و ما يتعلق بها .

يقـول كـارل إيرنسـت : (... و تحتـوي الأحاديـث علـى روايـات أكثر توسعاً عن مواقـف كانـت سـبباً فـي نـزول آيـات محـددة ، حيث لا يعرف بشكل واضح إلى أي مدى يستشهد بهذه الآيـات في مواقف لاحقة ...)[1] .

إن (التشريع الإسلامي في اتجاهاته العامة و خطوطه يتأثر و ينبثق و يتفاعل مع وجهـة النظـر القرآنيـة و الإسـلامية إلـى المجتمـع و عناصـره و أدوار هـذه العناصـر و العلاقـات المتبادلـة بـين الخطين)[2]. أي : خط علاقات الإنسان مع أخيه الإنسـان ، و خـط علاقات الإنسان مع الطبيعة .

قال تعالى : ((وَأَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّما عَلى رَسُولِنَا الْبَلاغُ الْمُبِينُ))[3] .



([1]) على نهج محمد ، كارل إيرنست ، ص ١٨٧ .

([2]) المدرسة القرآنية ، محمد باقر الصدر ، ص ١٨٥ .

([3]) سورة المائدة ، الآية (٩٢) .

و قال تعالى : ((إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ وَأَقامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ))[1] .

و قال تعالى : ((يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنْصابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * إِنَّما يُرِيدُ الشَّيْطانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَداوَةَ وَالْبَغْضاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ))[2] .

و (المضمون التشريعي الذي وضع قواعد السلوك الفردي ، و المجتمعي ، و الدولي تحت قاعدة الحلال و الحرام ، و التي نتج عنها علم آيات الأحكام ، ثم الفقه الإسلامي ، ثم منهج ذلك الفقه المسمّى بأصول الفقه ، و قد ترادف معها حشد من الأحاديث النبوية و الروايات عن أئمة أهل البيت المعصومين سلام الله عليهم أجمعين الشارحة و المبيِّنة لتلك الآيات التي اندرجت تحت عنوان أحاديث الأحكام ، و تهيكل العلم

(1) سورة البقرة ، الآية (٢٧٧) .

(2) سورة المائدة ، الآيات ٩٠ و ٩١ .



بالقواعد الاجتهادية ، و مورست هذه العلوم في اللحظات الأولى للنزول القرآني)[١] .

لا بد من فهم حقيقة النظام التشريعي الذي جاء لتقنين حياة الإنسان و مسيرته ، و جاء لتنظيم علاقاته مع خالقه ، و مع الآخرين ، و مع كل ما حوله ، و هذا التقنين و التشريع في بعض الأحيان ـ أن لم يكن الأكثر ـ يعتبره الإنسان تقييداً له و حداً لحريته ، إلا أنه لو فهم أنه يضمن له حقوقه و إنسانيته و يكسبه مزيداً من الاحترام و الاستقلالية التي قننت ضمن قواعد و قوانين هدفها خدمته و ضمان كرامته .

(... فتشريع النظام و تنظيم الشريعة ضروري في حياة الإنسان ، و لحياة الإنسان الذي يريد أن يحيا حياة إنسانية بمعناها الحسن الجميل . ثم ـ يا ترى ـ أترى الإنسان ـ و الحال فيه هو ذلك الحال ـ يرضخ لتلك الشريعة الموقفة له عند حدود ، و يخضع لذلك النظام المحدّد لتلك الحرية المطلقة فيه المؤيدة بالعواطف و الأهواء ؟ لا . اللهم إلا أن يفهم فيفهم حاجته الماسة إلى ذلك النظام ، و أن مشروع ذلك النظام ممن له أهلية ذلك التشريع فهو

(١) محاضرات في تفسير آيات الأحكام ، عبد الأمير كاظم زاهد ، ص ٢٤ .



مشرع بحق و منظم باستحقاق ، ثم هي الأخرى أن يفهم فيفهم أن ذلك النظام و ذلك التشريع نظام بعدل و اعتدال يرمي إلى العدل و الاعتدال لا سرف فيه و لا تطفيف . إذن فاتّساق التشريع أو النظام و استوساقه بحاجة إلى أن يركز على دعائم ثلاث :

احدها : قناعة المكلف قناعة نفسية بحاجة إلى تنظيم شرع و تشريع نظام و إلا دفعت به الحرية المطلقة إلى الهوة السحيقة و المهوى العميق .

ثانيها : الإيمان بأهلية المشروع لذلك التشريع ، و الاعتقاد بأحقيته في وضع ذلك النظام و إلا لم يرضخ الرضوخ المطلوب ، و لم يستجب لذلك النظام ، و لم يتمسك بذلك التشريع .

ثالثها : اعتقاد المكلف بعدل النظام و اعتداله و أنه لا سرف فيه و لا تطفيف ...)[١] .

إن القرآن الكريم و في عرضه للنماذج ـ و بالخصوص في موارد التشريع ـ يحاكي ما هو قابل للانطباق في كل زمان و مكان ، لان



([١]) القرآن و العقيدة أو آيات العقائد ، مسلم حمود الحسيني الحلي ، ص ٢٦٧ ـ ٢٦٨ .

القرآن الكريم يجري كالشمس و القمر ، فهو للبشرية كافة لا يحده زمان أو مكان .

قال الإمام الباقر (عليه السلام) : ((و لو أن الآية إذا نزلت في قوم ثم مات أولئك القوم ماتت الآية ، لما بقي من القرآن شيء ، و لكن القرآن يجري أوله على آخره ما دامت السموات و الأرض ، و لكل آية يتلونها هم منها من خير أو شر))[١] .

قال ابو عبد الله (عليه السلام) : ((إن القرآن حي لم يمت ، و إنه يجري كما يجري الليل و النهار ، و كما تجري الشمس و القمر ، و يجري على آخرنا كما يجري على أولنا))[٢] .

و المراد بالجري عند أهل التفسير هو : عبارة عن انطباق ألفاظ القرآن و آياته على غير ما نزل فيه[٣] .

يقول السيد الطباطبائي (رحمه الله) : (... فإن القرآن نزل هدى للعالمين يهديهم إلى واجب الاعتقاد و واجب الخلق و واجب العمل ، و ما بيّنه من المعارف النظرية حقائق لا تختص بحال



---

(١) تفسير العياشي ، ج١ ، ص ٢١ .

(٢) م ، ن ، ج٢ ، ص ٢١٩ .

(٣) قواعد التفسير لدى الشيعة و السنة ، محمد فاكر الميبدي ، ص ٣٠١ .

دون حال و لا بزمان دون زمان ، و ما ذكره من فضيلة أو رذيلة أو شرعة من حكم عملي لا يتقيد بفرد دون فرد و لا عصر دون عصر لعموم التشريع)[1] .

قال تعالى : ((وَلَقَدْ صَرَّفْنا لِلنَّاسِ فِي هـذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلاَّ كُفُوراً))[2] .

و قال تعالى : ((وَلَقَدْ صَرَّفْنا فِي هذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكانَ الإِنْسانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً))[3] .

كما و قد يستعمل لفظ الشرائع والنواميس للتعبير عن نفس المعنى الذي تؤديه السنن، وقد أشار إلى ذلك الشيخ محمد عبده[4] حين قال : (الكتاب يصرح أن الله في الأمم والأكوان سنناً لا تتبدل ، والسنن هي الطرائق الثابتة التي تجري عليها



(1) تفسير الميزان ، الطباطبائي ، ج١ ، ص ٤٤ .

(2) سورة الإسراء ، الآية ٨٩ .

(3) سورة الكهف ، الآية ٥٤ .

(4) محمد عبده : (١٨٤٩ ـ ١٩٠٥ م) عالم دين و فقيه و مجدد إسلامي مصير مشهور .

الشؤون وعلى حسبها تكون الآثار وهي التي تسمى شرائع ونواميس)[١] .

كما و يقول كارل إيرنست في معرض نقده للإسلام و المسلمين : (إن المسلمين كما هو الحال بالنسبة لأفراد الديانات الأخرى ، سوف يحتاجون إلى النظر بتعمق في مصادر أسلافهم لكي يجدوا القواعد و المبادئ التي يمكنهم تطبيقها في هذه الأوضاع الجديدة)[٢] .

و الجواب نفس الجواب فيما تقدم من تفصيل للمسألة ، و في صلاحية التشريع الإسلامي لكل زمان و مكان ، فهو دين متجدد قابل للتأقلم مع الزمان و المكان ، و مع الحاجات البشرية .



(١) محمد عبده، نقلا عن، فتحي الدريني، دراسات وبحوث في الفكر الإسلامي المعاصر ، ص٥٧٩.

(٢) على نهج محمد ، كارل إيرنست ، ص ٢٠٤ .

رد الشبهات: مؤاخذات على كتاب (القرآن بحث ودراسة) للقس المسيحي سهيل قاشا:

طَالعَنا القس المسيحي سهيل قاشا[1] و في كتاب له تحت عنوان (القرآن بحث ودراسة) نشرته له (دار العارف) أدلى فيه بدلوه - بحسب تعبيره - في مجال القرآن الكريم حاله كحال من سبقه، غايته من وراء ذلك إثبات شيء ألا وهو: (إثارة التساؤلات حول القرآن الكريم) وبالتالي إثارة التشكيكات حوله، وحول الدين الإسلامي، وحول نبوة النبي محمد (ص)، وليس في طرحه هذا أيّة قضية علمية، وليست لديه أية أمانة بالنقل لما عرف عن سهيل قاشا من انتحاله لموضوعات متعددة، ونسبتها لنفسه.



(١) سهيل قاشا قس مسيحي من عائلة مسيحية عملت في سلك اللاهوت، ولد في باخديدا، محافظة الموصل - العراق عام (١٩٤٢م)، له العديد من الكتابات والمؤلفات بلغت (٨٥) مؤلفا - تقريباً - أو أكثر، تنوعت في المسيحية والفكر القديم، والتراث الإسلامي، وغير ذلك.

ذلك - على سبيل المثال - ما أثاره عليه (رشيد الخيون)[1]، و(عبده وازن)[2] في أكثر من مكان، وأكثر من موقع إلكتروني، وظهر هذا في تصريح هذين الكاتبين بذلك، وما خفي كان أعظم.

---

(١) وذلك بسبب انتحال سهيل قاشا لمقدمة كتاب (معتزلة البصرة وبغداد) كاملة المأخوذة من كتاب رشيد الخيون المنشور (١٩٩٧م)، بينما نشر سهيل قاشا كتابه عام (٢٠١٠م) وقد اطلعت جريدة الشرق الأوسط على الكتابين ووجدت بأن سهيل قاشا قد نشر مقدمة كتاب الخيون كاملة من دون تغيير لا بحرف ولا بفارزة، ونشرت ذلك الجريدة في العدد: (١١٦٩٥) الأحد ٢٨ ذو الحجة (١٤٣١هـ)، ٥ ديسمبر (٢٠١٠م).

(٢) فقد تلقى الصحفي عبده وازن من دار نعمان للثقافة كتاباً للأب سهيل قاشا بعنوان: (أنا والكتابة) الذي فاز بجائزة الدار لعام (٢٠١١م). فوجئ وازن وفق صحيفة (الحياة) اللندنية أثناء تصفحه للكتاب بأنّ صاحبه أورد حرفياً مقاطع كثيرة من كتابه (حديقة الحواس) الصادر عام (١٩٩٣م) عن دار الجديد، الذي منعه جهاز الرقابة في الأمن العام اللبناني. وضمن قاشا كتابه هذا الفصل من كتاب وازن ليصبح أطول فصول الكتاب، مع عدم الإشارة إلى كتاب (حديقة الحواس) ولا إلى اسم صاحبه، فبدت هذه المقاطع الطويلة وكأنّها من تأليفه فيما هي من تأليف وازن، ولم يتورع عن إدراج مقطع بكامله كان نشره وازن على الغلاف الأخير من كتابه وهو يدور حول مفهوم الكتابة وعلاقتها بالجسد. أبلغ (وازن) الكاتب والدار الناشرة بأنّه سيلجأ إلى القضاء لاستعادة حقوقه ككاتب



كاتب السر اليهوديّ المجهول:

يقول سهيل قاشا مدعياً على النبي محمد (ص): (كان كاتب سره يهودي، ثمَّ لمّا خاف أن لا يؤتمن أمر زيد بن ثابت ليتعلم السريانية واليهودية ليكون كاتب سره)[1].

لقد ذكر سهيل قاشا هذا الكلام بلا أدنى دليل من مصدر أو مرجع يرجع إليه الباحث، فأورد ذكره وكأنّه من المسلمات التي لا لبس فيها أبداً، ولا أدري كيف يعامل هو وأمثاله حادثة لها أكثر من (١٠٠٠) سنة ـ قد غابت عنه تفاصيلها يقيناً ـ معاملة المسلمات؟ وكيف يذكر رأياً لا أصل له لم نسمع عنه إلا منه؟ فهل لديه علم ما لا يعلم به غيره؟ أم هذا مجرد ادّعاء باطل يضاف إلى سلسلة الادعاءات التي ساقها في كتابه؟!

ونحن مع ذلك نسأل ونقول: من ذلك اليهودي الذي كان كاتب سر النبي (ص)؟ وهل جعله النبي محمد (ص) كاتب سره يهودياً؟ وهل بقي على يهوديته؟ أم أنه أسلم؟

وكصاحب للنص الأصلي، مطالباً الدار بسحب كتاب سهيل قاشا من التداول فوراً.

(١) القرآن بحث ودراسة ، ص ٢٥٧ - ٢٥٨.

في الحقيقة: لا نعلم من أين جاء بهذه الأقوال ، فهو يتخبط ويبحث في ادعاءات المستشرقين وأعداء الإسلام ليأتينا بما شذ من الآراء فيطرحها طرح المُسلّمات، وكأن كل ما قيل أو كُتب يصح نقله، أو يصح قوله أو يصح التصريح به.

هنا لا بد من ذكر ملاحظة مهمة هي: أنّ المائز لكتابات سهيل قاشا الكثيرة هو: ذكره آراء، وكلمات، ونظريات تفتقر إلى أدنى دليل، وهو يوردها بلا أي ذكر للمصدر الذي اعتمد عليه في النقل، أو المرجع الذي استقى منه تلك المعلومات.

ويمكن للقارئ أن يراجع الكتب بخصوص كُتّاب الوحي، أو كُتّاب النبي محمد (ص) ليتعرف على أسمائهم، وأصولهم، وتراجمهم ليتسنى له معرفة صدق أو كذب القول المذكور. لذا نحن نحيل القارئ إلى تلك المصادر لكي يتأكد منها حول أصل ما جاء به هذا القس المسيحي، وغيره من المتقولين.

وما هذا القول إلا إعادة لما جاء به بعض المستشرقين كالمستشرق (لوث) الذي عزى الحروف المقطعة إلى التأثير اليهودي على النبي (ص)، و لو دقق أحد ما في هذه الدعوى للاحظ بطلانها بأبسط نظر، وذلك لأن سبعاً وعشرين سورة من

السور المحتوية على الحروف المقطعة هي مكية، وليس بينها من السور المدنية سوى اثنتين فقط.

لكن بعض المصادر ادّعت أنّ النبي محمد(ص) قد قام بتأليف القرآن بمساعدة راهب مسيحي، وآخر يهودي فارسي اسمه (عبد الله بن سلام)[1] كما عليه المدعى[2].

كما و لقد أورد الطاعنون بالقرآن الكريم، وبنبوة النبي محمد (ص) أسماء للأعاجم[3] الذين كانوا في مكة والذين اتهموا بتأليف القرآن، وعلموه للرسول (ص) فصاغه بعد ذلك باللغة العربية، وهم: الحداد النصراني (بلعام)، وغلام بني المغيرة (يعيش)، و(جبر) الغلام الرومي لبعض بني الحضرمي، و(يسار) الغلام الفارسي من عين التمر، و(عائش) الغلام النصراني عبد حويطب بن عبد العزى، و(عداس) غلام عتبة بن ربيعة[4].



(١) قيل إنّ اسمه كان (الحصين) فسماه النبي ﷺ عبد الله، كما يذكر ذلك البخاري ج ٥ ، ص ٣٧، والمشهور أنّه من رواة الإسرائيليات.

(٢) ورد ذكر هذا القول في كتاب: دفاع واعتذار لمحمد والقرآن، جون ديفنبورت ، ص ١٣٢، الهامش.

(٣) الأعجمي : هو كل من لا ينطق بالعربية .

(٤) هل القرآن معصوم؟ عبد الله الفاني ، ص ٢٣٦.

إن القرآن الكريم يرد على كل هذه الافتراءات بآياته المباركة.

قال تعالى: (وَما كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتابٍ وَلا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لَارْتابَ الْمُبْطِلُونَ)[1].

نعم، لقد زعم المشككون أنّ القرآن الكريم ليس كلام الله تعالى، وإنّما هو من تأليف شخصٍ ما علمه للنبي محمداً (ص)، وقد اختلفوا في تحديد اسم ذلك الشخص الأعجمي، ومن الأسماء التي رددها الرواة: (بلعام، ويعيش، وجبر، ويسار، وعداس)[2].

لقد ردت آيات القرآن الكريم في أكثر من مكان على هذا الزعم الباطل، ومنها قوله تعالى: (وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّما يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهذا لِسانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ)[3].

فالآية الكريمة قالت بأن لسان ذلك الشخص أعجمي، والقرآن



---

(1) سورة العنكبوت، الآية ٤٨.

(2) كل ذلك كان مجرد نظريات، وافتراءات وردت في كتب المسيحيين واليهود والمستشرقين وأعداء الإسلام.

(3) سورة النحل، الآية ١٠٣.

لسان عربي مبين، فكيف للأعجمي الذي لا يعرف إلا بضع كلمات عربية يكاد لا يحسن نطقها بالشكل الصحيح أن يؤلف كلاماً عربياً بلغ الذروة في البلاغة والفصاحة؟!

قال السيد الطباطبائي (قدس سره) في تفسير الآية المتقدمة ما نصه: (وملخص الجواب مأخوذ من جمع الآيات الثلاث، أنّ ما اتهمتموه به أن بشراً يعلمه ثم هو ينسبه إلى الله افتراء إن أردتم أنّه يعلمه القرآن بلفظه بالتلقين عليه وأن القرآن كلامه لا كلام الله فجوابه: أن هذا الرجل لسانه أعجمي وهذا القرآن عربي مبين)[1].



وقال تعالى: **(وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آَيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آَمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آَذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ)**[2].

---

(١) تفسير الميزان، ج١٢، ص ٣٧٢، و تفسير سورة النحل، الآية ١٠٣.

(٢) سورة فصلت، الآية ٤٤.

يقول ابن عطية[١] في التعليق على هذه الآية المباركة : إنّها نزلت بسبب تخليط قريش في أقوالهم من أجل الحروف التي وقعت في القرآن وهي مما عُرب من كلام العجم كالسجين والإستبرق ونحوه فقال ولو جعلنا هذا القرآن أعجمياً لا يبين لقالوا واعترضوا لولا بينت آياته[٢].

(١) عبد الحق بن غالب المحاربي الغرناطي الأندلسي (٤٨١ - ٥٤١هـ) المعروف بـ(ابن عطية).

(٢) المحرر الوجيز ، ج ١٣ ، ص ١٢٥.



فرية أخذ النبي محمد (ص) للقرآن الكريم من الثقافات الأخرى:

يقول سهيل قاشا: (ليس هناك بين الباحثين من العرب والمسلمين من يجهل ما بين القرآن واللغة السريانية من صلة وعلاقات متينة، فهناك العديد من المفردات والألفاظ والمعاني السريانية مبثوثة في سور القرآن وآياته، ولست هنا بمعرض لسردها أو شرحها)[1].

كما ويقول: (وإمّا أن يكون لمضمون ذاك الوحي مصادر في التوراة والإنجيل، فذلك مما يقرّ به القرآن نفسه في مواضيع كثيرة)[2].

---

(١) القرآن بحث ودراسة، سهيل قاشا، ص ٢٥٧.

(٢) م. ن ، ص ١٢.

في الحقيقة لا يمكن إنكار ما بين القرآن الكريم، والكتب السماوية المنزلة قبله من تطابق، وتوازن، وتتميم، فالله سبحانه وتعالى قد وضح في كثير من آيات القرآن الكريم، ومن ذلك على سبيل المثال:

١ـ إنّ القرآن يهدي المسلمين إلى سنن الذين كانوا من قبلهم:

قال تعالى: (**يُرِيدُ اللهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**)[١].

٢ـ إنّه للاقتداء بمن سبق من الأنبياء (عليهم السلام):

قال تعالى: (**أُولئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُداهُمُ اقْتَدِهْ قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرى لِلْعالَمِينَ**)[٢].

٣ـ إنّه كتاب هداية:

قال تعالى: (**ذلِكَ هُدَى اللهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ**)[٣].

٤ـ انّه لأخذ العبرة:

قال تعالى: (**نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِما أَوْحَيْنا**

---

(١) سورة النساء، الآية ٢٦.

(٢) سورة الأنعام، الآية ٩٠ .

(٣) سورة الأنعام، الآية ٨٨ .



إِلَيْكَ هذَا الْقُرْآنَ)[1].

وقال تعالى: **(وَلَقَدْ أَرْسَلْنا رُسُلاً مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ)**[2].

٥ـ إنّ الرسالات والكتب السماوية من الله تعالى:

قال تعالى: **(وَما كانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ الله)**[3].

٦ـ ليعلم الكلّ بأنّ سنن الله تعالى واحدة، و الذين بدلوها هم البشر:

قال تعالى: **(سُنَّةَ اللهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلاً)**[4].

٧ـ إنّ القرآن الكريم أحد الكتب السماوية فيه ما فيهنّ:

قال تعالى: **(إِنَّ هذا لَفِي الصُّحُفِ الأُولى صُحُفِ إِبْراهِيمَ وَمُوسى)**[5].



---

(١) سورة يوسف، الآية ٣.

(٢) سورة غافر، الآية ٧٨.

(٣) سورة غافر، الآية ٧٨ .

(٤) سورة الفتح، الآية ٢٣.

(٥) سورة الأعلى، الآيات ١٨ – ١٩.

بل ومصدّق، ومهيمن، وشاهد على الكتب السماوية الأخرى:

قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾[١].

يقول الزمخشري في كتابه (الكشاف) حول ذلك: (أي رقيباً على سائر الكتب؛ لأنّه يشهد لها بالصحة، والثبات)[٢].

هذا من حيث الأصل، ومن حيث كون (التوراة والإنجيل) كتب سماوية وقبل تعرضها للتحريف.

٨ـ الكتب السماوية السابقة إما فقدت، أو رفعت، وما موجود منها الآن ما هو إلا مسمّيات، أما المحتوى فهو محرف، كتب بعد الرسل على أيدي رجال الدين، وظل يضاف له ويحذف منه حتى حال الحاضر:

قال تعالى: ﴿وَقَدْ كانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلامَ اللهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ ما عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[٣].



---

(١) سورة المائدة، الآية ٤٨.

(٢) الكشاف، الزمخشري، ج ١، ص ٤٩٧.

(٣) سورة البقرة، الآية ٧٥.

وقال تعالى(وَأَنْزَلْنا إِلَيْكَ الْكِتابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِما أَنْزَلَ اللهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْواءَهُمْ عَمَّا جاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهاجاً وَلَوْ شاءَ اللهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً واحِدَةً وَلكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي ما آتاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْراتِ إِلَى اللهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ)[١].

يقول الطاهر بن عاشور[٢] في شرح الآية (٤٨) من سورة المائدة المتقدمة الذكر ما نصه: (وقد أشارت الآية إلى حالتي القرآن بالنسبة لما قبله من الكتب، فهو مؤيد لبعض ما في الشرائع مقرر له، من كل حكم كانت مصلحته كلية لم تختلف مصلحته باختلاف الأمم والأزمان، وهو بهذا الوصف مصدق ، أي محقق ومقرر، وهو أيضاً مبطل لبعض ما في الشرائع السالفة، وناسخ لأحكام كثيرة من كل ما كانت مصالحه جزئية مؤقتة مراعي فيها

(١) سورة المائدة، الآية ٤٨.

(٢) محمد الطاهر بن عاشور (١٨٧٩ - ١٩٧٣م) عالم وفقيه تونسي ترجع أصوله إلى أشراف أدارسة المغرب.

أحوال أقوام خاصة)[١].

لم يذكر القرآن الكريم في آياته المباركة أن لا علاقة بينه وبين الرسالات السماوية، بل جاء مصدقاً لما بين يديه من الكتب والصحف، مبيناً ما بها من التحريف، والباطل الموجود بين أيدي مدعي التبعية لها، ولا فرق بين ما ذُكر في القرآن الكريم وباقي الكتب السماوية في مجال أسس الدين، والعقائد، والتعاليم، والسنن، والمواعظ، والعبر، وباقي العبادات، فأوامر موسى ؑ، ومواعظ عيسى ؑ مذكورة في القرآن الكريم، وهذا لا يدل على أنّ القرآن الكريم قد أخذ من التوراة أو من الإنجيل، وإنما يدل على أن المصدر واحد، وهو الله سبحانه وتعالى.

قال تعالى: (اللهُ لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْراةَ وَالإِنْجِيلَ مِنْ قَبْلُ هُدىً لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآياتِ اللهِ لَهُمْ عَذابٌ شَدِيدٌ وَاللهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقامٍ)[٢].

وسهيل قاشا يمارس ديدنه وطبيعته في انتحال وتبني الآراء من

(١) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ج ٦، ص ٢٢١.

(٢)سورة آل عمران، الآيات ٢ – ٤.



دون أن يذكر القائلين بها، فهذا الرأي المتقدم في أصل المطلب قال به العديد من المستشرقين قبله، لكن يمكننا أن نشير إلى بعض الأبحاث المهمة بهذا الصدد، والتي من الظاهر أن سهيل قاشا قد انتحل منها ادعاءاته وهي:

١ـ المحاضرة التي ألقاها المستشرق الألماني (برجشتراسر)[١] في الجامعة المصرية عام (١٩٢٩م) والتي تحدث فيها عن أن العربية أخذت من اللغات الأجنبية، وورد الكثير منها في القرآن الكريم، وتحدث عن قضايا تتعلق بنحو اللغات السامية، وخص باباً للمفردات، وقد جعله لمناقشة الدخيل في العربية من مجموع لغات (فارسية، وحبشية، وآرامية، و أكدية، ويونانية، ولاتينية). ويمكن مراجعة كتابه الذي يحمل عنوان (التطور النحوي)[٢] لمراجعة (الدخيل) كما يسميه[٣].

٢ـ ما أورده المستشرق الألماني (تيودور نولدكه) في كتابه



(١) ج. برجشتراسر (١٨٨٦ - ١٩٣٢م).

(٢) التطور النحوي ، ص ٢٢١ - ٢٢٨، ترجمة: رمضان عبد التواب.

(٣) هل في القرآن أعجمي، فهمي خشيم، ص ١٣.

(تاريخ القرآن)[1] بتعديل (فريدريش شيفالي)[2] فقد أورد أن عدداً من ألفاظ القرآن ليست عربية أصيلة ، بل هي دخيلة من إحدى اللغات القديمة.

٣ـ في بحث تحت عنوان (التأثير السرياني على أسلوب القرآن)، نشرة (رينالدز)، سنة (١٩٢٧م) يشير الكاتب المسيحي الكلداني (ألفونس منجانا)[3] الحائز على شهادة الدكتوراه في اللاهوت إلى تأثر القرآن الكريم باللغة السريانية في عدة جوانب أوردها في بحثه سالف الذكر.

ويذكر (منجانا) أمثلة على هذا التأثير كـ(أسماء الأعلام[4]،



(١) تاريخ القرآن ،تعريب :جورج تامر.

(٢) فريدريش شيفالي: تلميذ نولدكه.

(٣) ألفونس منجانا، أو منغنا، لاهوتي كلداني، ولد باسم هرمز منغنا في شرانش قرب زاخو بالعراق سنة (١٨٧٨م)، درس في دير الاباء الدومينكان بالموصل، درس السريانية والعربية والتركية والفارسية والكردية والعبرية واللاتينية والفرنسية، هاجر إلى المملكة المتحدة سنة (١٩١٣م) وعاش فيها إلى حين وفاته سنة (١٩٣٧م). وبذلك يعرف من أين جاء سهيل قاشا ببعض الدعوات حول تأثر القرآن بالسريانية، وذلك استنساخاً لدعوات ابن بلدته (منجانا).

(٤) مثل سليمان، وفرعون، وإسحق وغيرها.

والمصطلحات الدينية[1]، والكلمات العامة[2]، وقواعد الإملاء[3]، وتركيب الجمل، وبعض القصص).

٤ـ ادعاءات (كريستوفر لوكسمبورغ)[4] المختص باللغات السامية القديمة في كتابه (القراءة السريانية للقرآن) أو (قراءة سريانية آرامية للقرآن: مساهمة في تحليل لغة القرآن) إذ يرى: أن (للقرآن جذوراً سريانية، ويجب قراءة القرآن عبر اللغة التي ولد فيها)[5].

٥ـ ما كتبه (ريتشارد بيل)تحت عنوان: (أصل الإسلام في بيئته

---

(١) مثل كاهن، ومسيح، وقسيس.

(٢) مثل قرآن، وحسبان، ومهيمن.

(٣) مثل حيوة من حياة، وصلوة من صلاة وهكذا.

(٤) وعلى الأكثر أنّ اسم (كريستوفر لوكسمبورغ) هو اسم مستعار، كما وأنّه ليس ألماني كما يدعي أو يشاع، بل هو لبناني الأصل، وهو صديق (جوزيف قزي) ولهما مشروع مشترك في الردّ على القرآن الكريم، كما وأنّه من أصدقاء وأساتذة (لويس صليبا). وظاهرة الأسماء المستعارة شاعت في السنوات الأخيرة لدى المتهجمين على القرآن الكريم، ومردّها إلى الخوف على (المؤلف الحقيقي) من ردّة الفعل ضدّهم لتطاولهم على الثوابت الإسلامية.

(٥) جريدة القاهرة، العدد ٢٦٣، الثلاثاء ٢٦ أبريل ٢٠٠٥م.

المسيحية)، طبعة لندن سنة (١٩٢٦م)، وأعيد طبعه سنة (١٩٦٨م).

٦ـ ما كتبه (تور أندريا)تحت عنوان: (أصل الإسلام والمسيحية)، طبعة أوبسلو سنة (١٩٢٦م).

٧ـ كتاب الحاخام اليهودي (إبرهام جيجر): في (ماذا أخذ محمد من النصوص اليهودية)، طبعة مدينة (بون)،سنة (١٨٣٣م)، والطبعة الثانية في ليبزج (١٩٠٢م)، وأعيد طبعه عام (١٩٦٩م).

٨ ـ مقالة(العناصر اليهودية في القرآن)، للمستشرق (هيرشفيلد)، منشورات (برلين) سنة (١٨٧٨م)، وله مقالة أخرى (في شرح القرآن) ليبزج (١٨٨٦م)، وأبحاث جديدة في فهم وتفسير القرآن، لندن (١٩٠٢م).

٩ـ ما كتبه (سيدرسكي) تحت عنوان: (أصل الأساطير الإسلامية في القرآن)، باريس، سنة (١٩٣٢م).

١٠ـ ما كتبه (هاينرشسبرنجر) تحت عنوان: (قصص الإنجيل في القرآن)، باريس، الطبعة الخامسة، برلين - ألمانيا، سنة (١٩٢٩م).

١١ـ بحث (هورفيتز) في: (الأسماء اليهودية ومشتقاتها في القرآن)، الذي نشر في حوليات الكلية العبرية، المجلد الحادي عشر، سنة (١٩٢٥م)، صفحة (١٤٥ - ٢٢٧)، والتي ذكر فيها



العديد من الكلمات ليثبت أنها كلمات مشتقة من العبرية، وأن محمداً تعلمها من اليهود في مكة، وخاصة يهود المدينة[1]. كما وله (بحوث قرآنية)، برلين - ليبزج (١٩٢٦م).

١٢ـ ما كتبه (إسرائيل شابيرو) تحت عنوان: (الحكايات التوراتية في أجزاء القرآن)، برلين سنة (١٩٠٧م). وله (عناصر الهجادة في قصص القرآن) ليبزج (١٩٠٧م).

١٣ـ ما كتبه (آرثر جيفري)[2] تحت عنوان: (الكلمات الأجنبية في القرآن)، منشورات المعهد الشرقي، باردوا، سنة (١٩٣٨م).

١٤ـ ما كتبه (دفوراك) تحت عنوان: (حول الكلمات الأجنبية في القرآن)، منشورات فيينا، سنة (١٨٨٥م).



---

(١) دفاع عن القرآن ضد منتقديه، عبد الرحمن بدوي ، ص ٣٨.

(٢) آرثر جيفري (١٨٩٢ - ١٩٥٩م) من محرري مجلة العالم الإسلامي التبشيرية وأبرز كتّابها، وقد بعث للعمل في الجامعة الأمريكية في بيروت، ثمَّ للتبشير في أمريكا اللاتينية، ثمَّ إلى مدرسة اللغات الشرقية بالقاهرة. له عدة جدليات ضد القرآن نشر بعضها في مجلة العالم الإسلامي (١٩٣٥م)، ونشر بعضها في كتابه (مصادر تاريخ القرآن) وأودع بقيتها في مقدمة تحقيقه لكتاب المصاحف لأبي بكر بن أبي داود.

١٥ـ ما كتبه (س. فرنكل) تحت عنوان: (الكلمات الأجنبية الآرامية في اللغة العربية)، منشورات ليدن، سنة (١٨٨٦م).

١٦ـ المستشرق الألماني (اوغست فيشر)[1] والذي طرد من عضوية المجمع اللغوي سنة (١٩٤٥م) لأنّه كتب رسالة بعنوان (آية مقحمة في القرآن)، كما ادعى أن الاسم (محمد) كان يستعمل بين البيزنطيين قبل الإسلام، وليس أقل غرابة ولا أبعد في المبالغة من زعمه أن سكان مكة، والمدينة، وأجزاء من الأماكن المحيطة بهما، قد تخلوا عن استعمال الإعراب في زمن النبي (ص) وبعده.

١٧ـ المستشرق الفرنسي (بلاشير)[2] والذي يزعم بأن فقرة (الغرانيق) المزعومة من صميم القرآن، وأن القرآن قد تعرضت أجزاء منه للضياع سواء المحفوظ منها في الذواكر، أم المسطور منها في الدفاتر. ويردد بلاشير دعوى المستشرق اليهودي (إبرهام جيجر) وغيره، بأن القرآن مأخوذ من مصادر يهودية ونصرانية.



---

(١) اوغست فيشر (١٨٦٥ – ١٩٤٨م).

(٢) بلاشير (١٩٠٠ – ١٩٧٠م).

١٨ـ المستشرق (ألفريد جيوم)[١] الحاصل على عضوية المجمع العلمي العربي بدمشق عام (١٩٤٨م)، والمجمع العلمي العراقي عام (١٩٤٩م) والذي قدم دراسات قامت على أساس (بشرية القرآن)، وانتحال النبي محمد (ص) مادة القرآن من اليهودية والنصرانية، وأخطر ما كتب هذا المستشرق كتابيه (حياة محمد) أكسفورد (١٩٥٦م)، وكتاب (الإسلام) عام (١٩٥٤م).

١٩ـ كتاب (دراسات قرآنية: مصادر الكتب المقدسة وطرق تفسيرها)[٢] للمستشرق الأمريكي (جون وانسبرو)[٣] صاحب نظرية: (أنّ القرآن لم ينتج بمكة)[٤].

٢٠ـ كتاب (هل القرآن معصوم؟) المنسوب إلى رجل دين نصراني يدعى (عبد الله الفاني)، والظاهر أن هذا الاسم مستعار، وصدر الكتاب عن مؤسسة تنصيرية في النمسا، اسمها (ضوء



(١) الفريد جيوم أو غيوم أو غليوم (١٨٨٨ - ١٩٦٦م).

(٢) طبعة اكسفورد (١٩٧٧م).

(٣) جون وانسبرو (١٩٢٨ - ٢٠٠٢م).

(٤) موسوعة بيان الإسلام: الردّ على الافتراءات والشبهات، القسم الأول، القرآن، مجلد ١، ج ١، ص ٤٧.

الحياة)، وظهرت طبعته الأولى عام (١٩٩٤م)، تكفلت بتوزيعه هيئات ومراكز التبشير النصرانية.

٢١ـ كتاب (القرآن دعوة نصرانية) للقس المسيحي (يوسف درة الحداد)[١].

٢٢ـ كتاب (قس ونبي: بحث في نشأة الإسلام) لمؤلفٍ أسمه (أبو موسى الحريري)[٢]، ويبدو أن هذا الاسم مستعار أيضاً.

وللاطلاع على المزيد من هذه الادعاءات يمكن الرجوع إلى أقوال،ونظريات، وآراء كلٌ من (ابن العبري)[٣]، و(فيليب حتى)[٤]، و(كارل إيرنست)، و(ميخائيل برائر)، و(ايتان



---

(١) قس مسيحي سوري (١٩١٣ - ١٩٧٩م).

(٢) وهو اسم مستعار للقس المسيحي (جوزيف قزي).

(٣) غريغوريوس أبو الفرج بن هارون الملطي والمعروف بـ(ابن العبري)، لاهوتي سرياني ولد سنة (١٢٢٦م) في مدينة ملاطية، لقب بابن العبري على قول أنّه من أصل عبري يهودي، مات سنة (١٢٨٦م) ودفن في دير ما متي للسريان الأرثوذكس بالموصل العراق.

(٤) فيليب حتى أو حتي: (١٨٨٦ - ١٩٧٨م) مؤرخ أمريكي مسيحي من أصل لبناني، فهو يقول: إنّ مصادر القرآن هي بلا شك: المسيحية واليهودية والوثنية العربية.

كولبرج)[١]، والمستشرق (ريتشارد بيل) في كتابه (أصل القرآن في بيئته المسيحية) الذي طبع في لندن عام (١٩٢٦م)، و(سانت كلير تسدال)[٢] الذي كان قسيس مبشر في إيران، والذي صنف كتاباً خطيراً على القرآن هو (المصادر الأصلية للقرآن)[٣] كما وكتب في عام (١٩١٣م) مقالاً بعنوان: (إضافات الشيعة على القرآن)، واليهودي (إبرهام جيجر)، و(كريستي ويلسون)، و(ريكولدود يمونتوكروس)[٤] صاحب كتاب (تفنيد آيات



(١) ايتان كولبرج (١٩٤٣ -.... م) باحث يهودي إسرائيلي.

(٢) سانت كلير تسدال (١٨٥٩ - ١٩٢٨م).

(٧)the original sources of the quran.

(٤) ريكولدوديمونتو كروس (١٢٤٣ - ١٣٢٠م) راهب دومنيكي ومبشر شديد الخصومة على الإسلام.لقد استفاد ريكولدو دي مونت كروس من كتاب (نقض الفقهاء) لأحد النصارى الأسبان والذي كان له التأثير الكبير عليه، وقد أفاد كروس من هذا الكتاب في تصنيف أشهر كتبه (تفنيد القرآن) الذي تُيم به مارتن لوثر وسارع إلى ترجمته للألمانية عام (١٥٤٢م). راجع: الاستشراق به الموضوعية والافتعالية، قاسم السامرائي ، ص ٦١.

القرآن)، والكاردينال (نيقولا دي كوزا)[1] والذي كتب بتوجيه من البابا (بيوس الثاني) كتابين هما: نقد وتفنيد الإسلام، وكتاب غربلة القرآن[2]، وميشيل نان في كتابه (الكنيسة الرومانية اليونانية في الشكل والمضمون للدين المسيحي ضد القرآن والقرآنيين دفاعاً وبرهاناً) عام (١٦٨٠م)، و(لودو فيجو مرتشي) في كتابه (مقدمة في دحض القرآن) عام (١٦٩٨م)، ووليم موير[3] في كتابيه (القرآن: تأليفه وتعاليمه١٨٧٧م) و(الجدال مع الإسلام ١٨٩٧م)[4]، وغيرهم.

وكذلك نجدها في آراء (جوزف شاخت)[5] الذي يقول: (إنّ



(١) نيقولا دي كوزا (١٤٠١ - ١٤٦٤م).

(٢) دفاع عن القرآن، بدوي، ص ٥.

(٣) وليم موير (١٨١٩ - ١٩٠٥م).

(٤) موسوعة المستشرقين، بدوي، ص ٤٠٤ - ٤٠٥.

(٥) جوزف شاخت (١٩٠٢ - ١٩٦٩م) باحث ألماني في الدراسات العربية، أثار شاخت حفيظة المسلمين لأنّه يشكك في صحة الأحاديث النبوية، ويرى أنّها وضعت أو لفقت خلال الفترة الممتدة بين نهاية القرن الثاني وبداية القرن الثالث الهجري، وقد تابع في ذلك أستاذه (جولدتسيهر) في ادعاء تلفيق الأحاديث النبوية، وصرح شاخت بأن ذلك استفاده من كتاب (دراسات محمدية) لأستاذه.

محمداً قد ظهر في مكة كمصلح ديني، وإنه احتج بشدة على كفار مكة، وأهل مكة اعتبروه مجرد كاهن، أو عراف،وأنه بسبب قوة شخصيته قد دُعِي إلى المدينة في عام (٦٢٢م) كحكم في نزاع قبلي بين أهل المدينة، وأنه كالنبي قد أصبح قائداً ومشرعاً، يحكم مجتمعاً جديداً على أساس ديني، وإن محمداً قد اقتبس من اليهود في المدينة كثيراً من الأحكام، وإن روايات جمع القرآن ملفقة، لَفَّقَهَا الفقهاء، وأصول الفقه وكذلك التشريعات الإسلامية منتحلة من القانون الروماني، والقانون البيزنطي، وقوانين الكنائس الشرقية، ومن التعاليم التلمودية، وأقوال الأحبار، ومن القانون الساساني. كل هذه القوانين والتعاليم والقواعد تَشَكَّلَ منها القانون الديني للإسلام)[1].

هذه الأقوال - المتقدمة. وما شاكلها بنيت على ادعاءات واهية، وروايات ضعيفة[2]، ومدخولات دخلت إلى الدين الإسلامي من

---

(١) مقدمة للشريعة الإسلامية: ٢٠ - ٢١، نقلاً عن كتاب: القرآن الكريم من المنظور الاستشراقي. حاشية ، ص ١٠٣.

(٢) فالقول بأن القرآن الكريم يشتمل على كلمات غير عربية منسوب إلى: عبد الله بن عباس (ت٦٨ هـ)، وعكرمة (ت١٠٥هـ)، وأبي موسى الأشعري (ت٤٢هـ)، وإلى ذلك ذهب الزركشي (ت٧٩٤هـ) في كتابه

الإسرائيليات وغيرها[1].

كل ذلك شكّل المادة التي انطلق منها سهيل قاشا في كتابه[2]، تبنّياً منه لآراء من سبق، وبعيداً عن الموضوعية، والبحث العلمي الرصين.

فـ(منهج الأثر والتأثر) على سبيل المثال من المناهج التي نادى بها المستشرقون ومن سبقهم من أعداء الإسلام، ومن جاء بعدهم، ومن اصطبغ بصبغتهم[3]، فهم قد نادوا بهذه النظرية ليقولوا بأن القرآن مستمد من عوامل خارجية، منطلقين بهذه الفكرة مما تعرضت له كتبهم، فمن المعلوم بأن المؤثرات الخارجية كالبابلية، والآشورية، والغنوصية، والهندوسية، والبوذية، وغيرها كان لها الأثر الكبير في تكوين ما يسمى بالنص الديني في كتب العهدين، فجاءوا بهذه الإسقاطات ليسقطوها على القرآن الكريم تعمداً وجهلاً وعداوة.



البرهان الجزء الأول: ٢٨٨ – ٢٨٩)، والسيوطي (ت٩١١هـ) في الإتقان الجزء الأول ، ص ١٤٠ – ١٤١.

(١) كعمليات الوضع التي قام بها السلاطين ووعاظهم لغايات خاصة.

(٢) كتاب (القرآن بحث ودراسة) طبع دار العارف، الطبعة الأولى، (٢٠١١م).

(٣) أمثال: عبد الله العروي، وعبد الكريم سروش.

وهنا نجد أنّ الكاتب (بيري) يشير إلى حقيقة الديانة المسيحية بقوله: (فالذي يدرس...المسيحية يجدها اقتباسات من الوثنية، واليهودية، والحياة الشرقية، والرومانية، ويجد بها عناصر أجنبية كثيرة بارزة بها كاملة أو محرفة)[١].

حقيقة ورقة بن نوفل:

يقول سهيل قاشا : (هذه الفواتح السريانية تؤيد بل تؤكد ـ سيما نزولها في مكة ـ أن ورقة بن نوفل كان يترجم الكتاب (الإنجيل) من اللسان العبراني إلى العربي الذي بدوره دخل إلى القرآن، فأبقى محمد على تلك الحروف التي كان ورقة وغيره يفتتح بها سوره الجديدة، أو الإصحاحات المترجمة والتي على الأغلب كان ورقة يتركها كافتتاحيات للأسفار المترجمة من العهد القديم أو الإنجيل، فتركها محمد أو الكتاب الذين أتوا بعده كما

---

(١) مقارنة الأديان ، ص ٩١.

هي دون أن يدركوا معانيها أو تأويلها)[1] .

و عن (ورقة بن نوفل) نقول: لقد انقسم علماؤنا بشأنه على اتجاهين رئيسين هما:

الاتجاه الأول: أنّه شخصية وهمية لا أساس لها، بل حالها كحال باقي المختلقات التي أثيرت على الدين الإسلامي[2].

الاتجاه الثاني: يقول بأنّ الخيال المنسوج ليس في شخصية ورقة بن نوفل، بل هو في القصة، أو القصص التي يرويها العامة، وغيرهم حول التجاء النبي محمد (ص) له لتثبيت نبوته، وما إلى ذلك من ادعاءات.

فمثلاً تذكر بعض الكتب[3] أن ما بين لقاء النبي (ص) ورقة بن نوفل وبين وفاة الأخير فترة وجيزة جداً[4].

أما ما زعمه بعض المستشرقين من أنّ النبي (ص) قد لازم ورقة

---

(١) القرآن بحث ودراسة ، ص ٢٧٤.

(٢) يراجع لذلك كتاب الصحيح من السيرة النبوية، جعفر مرتضى العاملي ، ج ٢، ص ١٠٨.

(٣) كصحيح البخاري على سبيل المثال.

(٤) صحيح البخاري، ١، ٤، و٤، ١٨٩٤.

بن نوفل فترة طويلة من الزمن[1] أوصلها بعضهم إلى خمسة عشر عاماً قبل البعثة[2] في تلفيقات ما أنزل الله بها من سلطان، صدقها البعض معتمدين على أقوال (الوضاعين) ممن يعتبرهم البعض أئمة في الفقه والحديث والتفسير. أمثال ابن القيم[3]، وابن حجر العسقلاني[4].

فنجد مثلاً بأن (الخوري الحداد)[5] المبشر اللبناني في (سلسلة



---

(١) ومن أبرز من حمل هذا الرأي: المستشرق البريطاني (مونتغمري وات) في كتابه: (محمد في مكة)، ص ٥١.

(٢) انظر : نقد الخطاب الاستشراقي ج١، ص ٢٧٩ - ٢٨٠.

(٣) في كتابه: زاد المعاد في هدي خير العباد، ج٣، ص ١٨. رغم تضعيف الترمذي للحديث الوارد. انظر: ضعيف الترمذي للألباني، ص ٢٥٦، ح٣٩٧.

(٤) انظر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج ٦، ص ٦٠٧.

(٥) يوسف إلياس الحداد، مبشر مسيحي لبناني، كرس جهوده للهجوم على القرآن والإسلام، تصدى له ورد عليه الأُستاذ (محمد عزة دروزة) في كتابه (القرآن والمبشرون) الذي طبعه المكتب الإسلامي في بيروت سنة (١٩٧٢م).

إصداراته) ضد أصالة القرآن[1] يستدل على صحة مزاعم أسلافه من المنصّرين بقوله: (فوجود العالِم المسيحي ورقة بن نوفل في جوار محمد خمسة عشر عاماً قبل البعثة، وأعواماً بعدها في أوائل الدعوة ووجود هذه الحاشية الكريمة في المدينة مع النبي في كل مكان حجة قاطعة على أنّ بيئة النبي والقرآن كانت كتابية من كل نواحيها، وأن ثقافة محمد والقرآن كتابية في كل مظاهرها، وذلك بمعزل عن الوحي والتنزيل)[2].



(١) صدرت هذه السلسلة منتصف القرن العشرين في أربع مجلدات طبعتها مطبعة حريصا البولسية في لبنان بعنوان (دروس قرآنية) مع عنوان خاص لكل كتاب، وجاءت على النحو التالي: (١ـ الإنجيل والقرآن.٢ـ القرآن والكتاب.٣ـ القرآن والكتاب وهو تكملة للجزء الثاني.٤ـ نظم القرآن والكتاب).

(٢) القرآن والكتاب، الحداد ج٢، ص١٠٦٠.



التجني على المنظومة الحديثية الإسلامية:

يقول سهيل قاشا : (وأنّه لابد من الاستناد إلى وثائق مشبوهة متخذة من صلب الأحاديث والروايات. ومن المعلوم أنّ هذا الذي يدعوه المسلمون (حديثاً) إنّما هو مجموعة من الأخبار المتناقلة شفهياً... سوادها الأعظم إنّما هو مما استنبطته مخيلات

العصور اللاحقة)[1].

وسهيل قاشا بقوله هذا إنّما يحاكي آراء من سبقه من رجال دين مسيح، ويهود، ومستشرقين كانت لهم دوافعهم الخاصة لتوجيه النقد للدين الإسلامي.

فمثلاً نجد المستشرق (جولدتسيهر) يقول وبحسب رأيه عن تعارض الأحاديث مع نص القرآن: (فلا يوجد كتاب تشريعي اعترفت به طائفة دينية اعترافاً عقدياً على أنّه نصّ منزل أو موحى به يقدم نصه في أقدم عصور تداوله مثل هذه الصورة من الاضطراب وعدم الثبات كما نجد في نصّ القرآن)[2].

كل ذلك بهدف إثارة الشكوك بالقرآن الكريم، وبالمنظومة الحديثية، وبالتالي في مجمل الدين الإسلامي فـ(الهدف الأساسي من وراء التشكيك، ونفي إعجاز القرآن الكريم في أسلوبه البلاغي، و إخباراته الغيبية، وحقائقه العلمية واضح، وهو إسقاط الدليل الذي يثبت سماويته وخلوده... وإسقاط دعوى نبوة

(١) القرآن بحث ودراسة، سهيل قاشا ، ص ١٣.

(٢) مذاهب التفسير الإسلامي، جولدتسيهر ، ص ٤.



محمد (ص) وإرساله من قبل الله تعالى للعالمين... وبذلك يفقد القرآن الكريم، والنبي (ص) قدسيتهما لدى المسلمين، تلك القدسية القائمة على أساس أنّ القرآن الكريم كلام الله أوحاه لنبيه (ص)، وعندها يصبح شأن القرآن لديهم شأن أي كتاب بشري يطاله التغيير، والتعديل، أو الإهمال، وما (محمد) إلا رجل متميز بذكاء، وقدرة اجتماعية استطاع من خلالها أن يهيمن على قومه، ويقنعهم بأساليبه النفسية، أنّه نبي، ورسول لهم من الله بهذا القرآن)[١].

التجني على شخص النبي محمد (ص):

يقول سهيل قاشا : (كل ذلك يشهد أن الرسول لم يترك لأمته مصحفاً إماماً يحتكمون إليه في جدالاتهم حول القرآن)[٢].

---

(١) الإسلام وشبهات المستشرقين، الشيخ فؤاد كاظم المقدادي ، ص ١٣٣.

(٢) القرآن بحث ودراسة ، ص ٣٣.

وجوابه بما تقدم مستفيض، فما الدليل على هذا المدعى السقيم، الخالي من الأدلة، والبراهين العقلية، أو النقلية المقنعة؟ وما هذا القول إلا إرادة على التشكيك بالنبي محمد (ص)، وبالقرآن الكريم.

هذا وغيره من الأقوال ألجأ الكثير من أعداء الإسلام إلى التمادي والتجاوز على هذا الدين السماوي، فمثلاً نجد بأن المستشرق النمساوي (غوستاف فون غرونباوم)[1] ـ وفي معرض كلامه عن القرآن الكريم ـ يقول: (والكتاب الذي بين أيدينا ليس هو الكتاب الذي بلغه محمد. وفي الواقع فإنه لم يبلغ أبداً أي كتاب، واكتفى بأن نقل أشياء متفرقة هي عبارة عن رؤى قصيرة وأوامر وحكم وخرافات وخطب عن مذهبه).

لقد كان المحور الأساسي للمستشرقين، وأعداء الدين الإسلامي في تناولهم لتاريخ القرآن الكريم، وللسيرة النبوية المباركة هو من خلال تتبع مفردات التاريخ الإسلامي، واستقصاء الشاذ،

(١) غوستاف فون غرونباوم (١٩٠٩ - ١٩٧٢م) مستشرق نمساوي الأصل أمريكي الجنسية، أستاذ الشرق الأدنى بجامعة كاليفورنيا، له (المسلمون)، يعتبر بأن الإسلام هو مجموعة نقائض.

والنادر، والمحرف فيه، والتي أحدثها حكام السوء، ووعاظ السلاطين، وأعداء الإسلام، والدخلاء، وتسليط الضوء عليها، وإظهارها على أنها السيرة الحقيقية للرسول الأكرم (ص)، ولأهل بيته المعصومين (ع)، هدفهم من وراء ذلك إلصاق تهمة التهافت في سيرتهم العطرة، وبالتالي تشجيع النقد، والطعن فيهم، وبالتالي نفي العصمة عنهم، وبخاصة نفي نبوة النبي محمد (ص)، والطعن بمصداقية القرآن الكريم.



التشكيك بالوحي:

يقول سهيل قاشا: (وأمّا كيفية ذاك التنزيل - أي الوحي - فلا نملك من أمر تفسيره إلا التكهنات والافتراضات)[1].

(١) المصدر السابق ، ص ١٢.

الوحي هو تعبير عمّا يلقيه الله سبحانه وتعالى إلى نبي من أنبيائه (ع) بواسطة ملك، أو بغير ذلك من وسائط الاتصال، لأجل تبليغ الرسالة الإلهية، ويسمى هذا الوحي بـ(الوحي الرسالي)، وقد ورد ذكره في أكثر من سبعين موضعاً من القرآن الكريم.

وتعتبر ظاهرة الوحي من أبرز سمات وميزات ومشخصات الأنبياء (ع) التي يمتازون بها عن غيرهم، وحول ذلك يقول السيد الطباطبائي (قدس سره): (فكان (ع) يرى شخص الملك، ويسمع صوت الوحي، لكن لا بهذه السمع والبصر الماديين، وإلا لكان أمراً مشتركاً بينه وبين غيره... فكان يأخذه بُرحاء الوحي، وهو بين الناس فيوحى إليه، ولا يشعر الآخرون الحاضرون)[١].

أما حول ألفاظ القرآن الكريم، وهل وردت بنفس المراد، واللفظ الإلهي، أم بلفظ الوحي، أم بلفظ النبي محمد (ص)؟

في الحقيقة لقد وردت العديد من الأقوال، والدعوات حول ذلك، والتي ذكرها الزركشي[٢]، والسيوطي[١]، والسمرقندي،



(١) تفسير الميزان، ج ١٥، ص ٣٤٦.

(٢) البرهان ج ١، ص ٢٢٩ - ٢٣٠.

والجويني[2]، وقد ردّ الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني على هذه الدعوات بقوله: (وقد أسَفَّ بعض الناس فزعم أنّ جبرائيل كان ينزل على النبي (ص) بمعاني القرآن، والرسول يعبر عنها بلغة العرب. وزعم آخرون أنّ اللفظ لجبرائيل، وأن الله كان يوحي إليه المعنى فقط. وكلاهما قول باطل أثيم، مصادم لصريح الكتاب، والسنة، والإجماع، ولا يساوي قيمة المداد الذي يكتب به....)[3].

إنّ من أشهر المستشرقين الذين شككوا بالوحي على سبيل المثال: (هاملتون جب[4]، وأميل درمنغهام، و إدوارد مونتيه[5]، و باول كازانوفا[6]).



(١) الإتقان ج ١، ص ١٢٦.

(٢) م، ن ج ١، ص ١٢٧ - ١٢٨.

(٣) مناهل العرفان ج ١، ص ٤٩.

(٤) هاملتون جب (١٨٩٥ - ١٩٧١م) مستشرق إنكليزي الأصل.

(٥) ادوارد مونتيه (١٨٥٦ - ١٩٢٧م) مستشرق فرنسي.

(٦) باول كازانوفا (١٨٦١ - ١٩٢٦م) مستشرق فرنسي.



في معنى (الأمي) و(الأميون):

إنّ سهيل قاشا وعندما يتعرض لكلمة (أميّ) فإنه يفسرها بما يرادف (الجهل)، وكل من لا يعرف القراءة والكتابة، فيقول:

(والأميون بمكة)[1] .

وهنا يمارس سهيل قاشا ديدنه في تبني آراء المستشرقين القديمة، والبائدة، والتي منها ما أثاروه حول كلمة (أمي) و(أميون).

وهنا نتطرق لبعض آراء المستشرقين حولها كالآتي:

١ـ المستشرق (شبرنجر) في كتابه (حياة وعقيدة محمد) المطبوع في برلين سنة (١٨٦١م) يقول: (بأن المراد من أمي هو وثني)[2] .

٢ـ المستشرق (فنسنك)[3] وفي مقال له نشره في مجلة (الشؤون الشرقية)[4] يقول: أن كلمة (أميّ) تقال لوصف غير أهل الكتاب، وأنّ كلمة (أمي) مشتقة من أمة بمعنى شعب وثني (عرقي)،



(١) المصدر السابق ،ص ٢١٦.

(٢) حياة وعقيدة محمد، شبرنجر ج ٢، ص ٢٢٤.

(٣) فنسنك (١٨٨٢ - ١٩٣٩م).

(٤) من صفحة (٢) إلى صفحة (١٩).

ويتوافق مع الكلمة العبرية (جوييم[1]) [2].

٣ـ المستشرق (هورفيتز) وهو يذهب إلى أن معنى (أمي) هو (وثني) [3].

يقول الكاتب المصري (عبد الرحمن بدوي) [4]: (...من السهل علينا تفنيد هذا الرأي الفاسد (فأمي) لا تعني وثني، والنبي (ص)وصف نفسه بأنه نبي أمي وهو يجادل اليهود، ومن المستحيل، والمخالف للواقع أن يصف النبي (ص) نفسه بأنّه (أمي) وهو يقصد كافراً، أو وثنياً؛ لأنّ بهذا المعنى تكون صفة أمي فيها نوع من الإهانة) [5].



---

(١) الجوييم: أي الأغيار أو الأغراب، يشار بها إلى الأمم غير اليهودية دون سواها بما يحمل المعنى من ذم وقدح، و(جوييم) تطلق على كل من ليس يهودي تهويناً له.

(٢) وهذا ما ذكره في كتابه (العقيدة الإسلامية: ٦٠)، كمبردج، ١٩٣٢ م.

(٣) ذكر ذلك في أثنين من كتبه هما: (الأسماء اليهودية ومشتقاتها في القرآن)، و(مباحث قرآنية).

(٤) عبد الرحمن بدوي (١٩١٧ - ٢٠٠٢م).

(٥) دفاع عن القرآن ضد منتقديه، عبد الرحمن بدوي ، ص ١٦.

٤ـ المستشرق (فرانتس بول) في كتاب (حياة محمد، ترجمة ألمانية، هايدلبرغ، سنة ١٩٥٥م)، فهو يرى بأنّ معنى (أمي): مشتقة من أمة بمعنى شعب، أي: أنها تعني غير ديني [١].

٥ـ ما ذكره المستشرق (كارلو نللينو) والمنشور ضمن أعماله الكاملة، المجلد الثاني، روما، سنة (١٩٤٠م) (ص ٦٠ – ٦٥)، بأنّ (أمّيّ): هو ذلك اللفظ المنطبق على محمد، وكذلك (الأميين) حيث يؤيد الرأي القائل بأنّ أمي مشتقة من الأمة العربية... ويرى أن أمي تأخذ بعداً عرقياً أو متعصباً للقومية [٢].

إنّ صفة (أمي) قد وردت في القرآن الكريم (٦) مرات: مرتين بصيغة المفرد (أمي)، وأربع مرات بصيغة الجمع (أميين)، وقد تعددت الآراء والتفسيرات حول المراد منها:

١ـ ما ذكر عن الإمام الصادق (ع) في تفسير قوله تعالى: (**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ**) أنّه قال: «كانوا يكتبون، ولكن لم يكن معهم كتاب من عند الله، ولا بعث إليهم رسول،

---

(١) م، ن ، ص ١٧.

(٢) م، ن ، ص ١٧.

فنسبهم الله إلى الأميين»[1].

٢ـ قال جعفر بن محمد الصوفي: سألت أبا جعفر - الجواد - محمد بن علي الرضا (ع)، فقلت: يا بن رسول الله، لم سمّي النبي (ص) (الأُمّيّ)؟ فقال: «ما تقول الناس»؟

قلت: يزعمون أنّه إنّما سمّي (الأمي) لأنّه لم يحسن أن يكتب.

فقال: «كذبوا، عليهم لعنة الله، أنى ذلك والله يقول في محكم كتابه: (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ)، فكيف كان يعلمهم ما لا يُحسن؟! والله لقد كان رسول الله (ص) يقرأ ويكتب باثنتين وسبعين» - أو قال: «بثلاثة وسبعين - لساناً وإنما سمي الأمي؛ لأنّه كان من أهل مكة، ومكة من أمهات القرى، وذلك قول الله عز وجل: (لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا)»[2].

٣ـ قال الراغب الأصفهاني: (والأُميّ: هو الذي لا يكتب ولا يقرأ من كتاب... قال قطرب: الأُميّة: الغفلة والجهالة، فالأمّي منه،

([1]) تفسير الميزان، الطباطبائي، تفسير سورة الجمعة، الآية: (٢).

([2]) أوائل المقالات المطبوع ضمن مصنفات الشيخ المفيد ٤:١٣٥ - ١٣٧، وعلل الشرائع ج ١، ص ١٢٤، وبحار الأنوار ج ١٦، ص ١٣٢.



وذلك هو قلة المعرفة... قال الفرّاء: هم العرب الذين لم يكن لهم كتاب... وقيل: سمي بذلك لنسبته إلى أم القرى)[1].

٤ـ قال القرطبي نقلاً عن ابن عباس: (الأميون: العرب كلهم، من كتب منهم ومن لم يكتب)[2].

٥ـ وذُكر بأنّ المراد بها هو: (عالمي، وصالح، وموجه لكل الأمم... بمعنى أصح النبي العالمي)[3].

قال تعالى: (**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**)[4].

٦ـ والمراد بـ(الأميين) هم: إمّا أهل مكة نسبة إلى (أم القرى)، أو نسبة إلى (أمي) وهي صفة عوام الناس من البسطاء والمغلوبين



---

(١) المفردات، ص ٨٧

(٢) تفسير القرآن، القرطبي ج ١٨، ص ٩١.

(٣) دفاع عن القرآن ضد منتقديه، عبد الرحمن بدوي، ص ١٨ – ١٩.

(٤) سورة الجمعة، الآيتان: ٢ – ٣.

على أمرهم.

وذلك الذي وضحته السيّدة الطاهرة فاطمة الزهراء (ع) لما وصفت العرب، وبالخصوص أهل مكة، وكيف كانت أحوالهم قبل الرسالة المحمدية إذ قالت: «وكنتم على شفا حفرة من النار مذقة الشارب ونهزة الطامع وقبسة العجلان وموطئ الأقدام تشربون الطرق وتقتاتون القد أذلة خاسئين تخافون أن يتخطفكم الناس من حولكم....»[١].

لكن السؤال المهم: هل كان النبي (ص) وسلسلة آباءه منهم أم لا؟

الجواب: لا، وذلك لقوله تعالى: (وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ)[٢].

والمراد بذلك: آخرين من أهل مكة لم يتابعوا قومهم على عبادة الأصنام، ولم يزاولوا عاداتهم، ولم يتأثروا بطباعهم، بل بقوا متمسكين بالدين الإبراهيمي الحنيف حتى وقت بعثة النبي محمد



(١) مقطع من خطبة الزهراء ع.

(٢) سورة الجمعة، الآية: ٣.

(ص) وهم من ذرية نبي الله إبراهيم (ع).

قال رسول الله (ص): «لم يزل ينقلني الله من أصلاب الطاهرين إلى أرحام المطهرات حتى أخرجني في عالمكم هذا، لم يدنسني بدنس الجاهلية»[1].

وإلى ذلك يشير الإمام علي بن أبي طالب (ع) بقوله: «فاستودعهم - أي الأنبياء - في أفضل مستودع، وأقرهم في خير مستقر، تناسختهم كرائم الأصلاب إلى مطهرات الأرحام، كلما مضى منهم سلف قام منهم بدين الله خلف، حتى أفضت كرامة الله سبحانه وتعالى إلى محمد (ص) فأخرجه من أفضل المعادن منبتاً، وأعزّ الأرومات مغرساً، من الشجرة التي صدع منها أنبياءه، وانتجب منها أمناءه، عترته خير العتر، وأسرته خير الأسر، وشجرته خير الشجر، نبتت في حرم، وبسقت في كرم، لها فروع طوال، وثمر لا ينال، فهو إمام من أتقى وبصيرة من اهتدى»[2].



---

(١) مجمع البيان، الطبرسي، سورة الأنعام، الآية: (٧٤)، والدر المنثور ج ٥، ص ٩٨.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة: (٩٣).

٧ـ قال الفرّاء: (الأمِّيون: العرب الذين لم يكن لهم كتاب)[١].

إنّ صفة (الأمي) التي وردت في القرآن الكريم (ست مرات) مرتين بصيغة (أمِّي) وأربع مرات بصيغة الجمع (أمِّيون) وبحسب عموم الآيات التي وردت فيها نفهم منها أنّ المراد بذلك الأمة التي لا كتاب لها، لا من لا يعرف القراءة والكتابة بحسب الفهم العام الذي جاء بسبب إسقاط معنى حالي على معنى ماضي وهذا الإسقاط من أكبر الأخطاء التي يقع فيها الكثيرون، حتى في الحياة العامة.

(١) أورده الراغب الأصفهاني في مفردات ألفاظ القرآن، مادة (أُمّي).







الفهرس

